دور الأديرة في رعاية الفئات الأكثر احتياجًا في مصر في العصر البيزنطي (٢٨٤ ـ ٦٤١م)

د. نها عوض محمود العجمي

كلية التربية، جامعة المنصورة، مصر

noha79@mans.edu.eg

الملخص:

اتسمت الحياة في مصر البيزنطية بتحديات كثيرة، منها السياسات الجبائية المجحفة، وسوء إدارة الأقاليم، وتصاعد الفوارق الاجتماعية، مما أدى إلى تهميش شرائح واسعة من السكان كالفلاحين، العمال، الأرامل، واليتامى. في ظل غياب شبكات أمان اجتماعي رسمية فعالة، برزت الأديرة كملاذ حقيقي ومصدر للدعم، متجاوزة دورها التعبدي لتمارس وظائف حيوية شملت الرعاية المادية، الدعم الروحاني والنفسي، وحتى الوساطة القانونية والاجتماعية. فلم تكن مجرد مراكز للعبادة والتأمل، بل تحولت إلى مؤسسات اجتماعية واقتصادية ضخمة، تجسد مبادئ المسيحية للمحبة والعطاء بفعالية كبيرة. تهدف هذه الدراسة إلى التعمق في الدور التكافلي للأديرة في مصر البيزنطية، بتسليط الضوء جهود الأديرة المصرية في دعم الفئات المهمشة والضعيفة، وذلك من خلال تحليل نقدي للأدلة المستخلصة من المصادر الأولية، وبخاصة الوثائق البردية وسير القديسين المعاصرة. تقوم الدراسة بتقييم الأهمية المحورية لهذه المؤسسات الدينية في الحفاظ على تماسك المجتمع وتلبية احتياجاته الأساسية، خاصةً في ظل الاضطرابات السياسية والضغوط الاقتصادية التي شهدتها تلك الفترة. تتناول الدراسة كيف وفرت الأديرة المأوى والطعام للمشردين والجائعين، وقدمت الرعاية الصحية للمرضى والمتأثرين بالأوبئة، كما قدمت الدعم القانوني للدفاع عن المظلومين، بالإضافة إلى سعيها لفداء الأسرى والمستعبدين. تميز الدراسة بوضوح بين الرهبنة كفكرة دينية قائمة على العزلة، ودور الأديرة كمؤسسات اجتماعية حيوية، أي كيف تحولت الأديرة من مجرد مراكز للعبادة والعزلة إلى مراكز فاعلة للدعم والإغاثة، مساهمة بشكل رئيسي في استقرار ومرونة المجتمع، بخاصة خلال أوقات الشدة، مما يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة المعقدة بين الدين والمجتمع والدولة في تلك الحقبة.

الكلمات المفتاحية: الأديرة المصرية، الرعاية الاجتماعية، الفئات المهمشة، الرهبنة القبطية، مصر البيزنطية.

The Role of Monasteries in Caring for the most Needy Groups in Egypt during the Byzantine era (284-641 AD)

Noha Awad Mahmoud Al-Agamy
Faculty of Education, Mansoura University, Egypt
noha79@mans.edu.eg

Abstract:

Byzantine Egypt (284-641 AD) faced numerous challenges, including oppressive tax policies, poor provincial administration, and escalating social disparities. These issues led to the marginalization of broad segments of the population, such as peasants, laborers, widows, and orphans. In the absence of effective formal social safety nets, monasteries emerged as genuine havens and sources of support, transcending their purely devotional role to undertake vital functions that encompassed material care, spiritual and psychological assistance, and even legal and social mediation. They weren't just centers for worship and contemplation; they transformed into significant social and economic institutions, embodying Christian principles of love and charity with great efficacy. This study aims to delve deeply into the symbiotic role of monasteries in Byzantine Egypt, specifically by highlighting the efforts of Egyptian monasteries in supporting marginalized and vulnerable groups. This will be achieved through a critical analysis of evidence drawn from primary sources, particularly papyrological documents and contemporary hagiographies. The research will assess the pivotal importance of these religious institutions in maintaining social cohesion and meeting fundamental needs, especially amidst the political turmoil and economic pressures of the period. It will explore how monasteries provided shelter and food for the homeless and hungry, offered healthcare to the sick and those affected by epidemics, extended legal aid to defend the oppressed, and even sought to redeem captives and the enslaved. Crucially, the study differentiates between monasticism as a religious concept rooted in isolation and the active role of monasteries as vital social institutions. It demonstrates how monasteries transitioned from mere centers of worship and solitude to effective centers of support and relief, contributing significantly to community stability and resilience, particularly during times of hardship, thereby opening new avenues for understanding the complex relationship between religion, society, and the state in that era.

Keywords: Egyptian monasteries, social welfare, marginalized groups, Coptic monasticism, Byzantine Egypt

مقدمة:

واجهت مصر في الحقبة البيزنطية (٢٨٤- ٦٤١ م) العديد من التحديات والتحولات، حيث عانى سكانها من وطأة الحكم الأجنبي، والضغوط الاقتصادية المتمثلة في الضرائب الباهظة، والاضطرابات الاجتماعية، بالإضافة إلى الصراعات الدينية التي أعقبت مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م[١]. في خضم هذه الظروف المعقدة، برزت الأديرة المسيحية كمؤسسات دينية واجتماعية محورية، لم تقتصر وظيفتها على الجانب الروحاني والتأملي فحسب، بل امتد تأثيرها ليشمل كافة أوجه الحياة اليومية للمصريين.

لقد لعبت الأديرة المصرية دورًا أساسيًا في تعزيز تماسك المجتمع خلال الحقبة البيزنطية، من خلال الأنشطة الاجتماعية والروحانية التي ركزت على رعاية الفئات المستضعفة. هذه الفئات شملت العديد من الأفراد الذين عانوا من القهر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، بالإضافة إلى الفقر المستمر. كان الفلاحون في مقدمة هؤلاء، إذ كانوا يعانون من عبء الضرائب، والعمل القسري، وتقلبات نهر النيل، مما كان يؤدي بهم إلى الجوع أو الوقوع في الديون[٢]. إلى جانب الفلاحين، عانى الفقراء والمعوزون، والأرامل والأيتام الذين كانوا يعتمدون بشكل أساسي على الصدقات. كما ضمت هذه الفئات المرضى ومصابي الأوبئة في ظل غياب رعاية صحية كافية، بالإضافة إلى الأسرى والعبيد الذين كانوا عرضة للاستغلال[٣]. بشكل عام، كانت هذه الفئات في المجتمع البيزنطي تفتقر إلى الحماية الإمبراطورية، وكانت تعتمد على التكافل الاجتماعي والمؤسسات الدينية للحفاظ على بقائها وكرامتها.

لم تكن الأديرة مجرد أماكن للعبادة أو الزهد، بل كانت مؤسسات مجتمعية حيوية استجابت بمرونة وفاعلية للتحديات المحلية. استقبلت الأديرة زوارًا من مختلف الطبقات الاجتماعية، وأسهمت في تعزيز التواصل بين الناس من خلال الاحتفالات والمناسبات الدينية، مما ساعد على ترسيخ قيم التضامن والانتماء[٤]. كما كانت ملاذًا للفقراء والمرضى والمسنين والأيتام، حيث قدمت لهم المأوى والرعاية والدعم النفسي. كما لعبت دورًا بارزًا في التدخل لمساعدة الأسرى وضحايا الديون، وهي فئات كانت تعاني من أقصى درجات التهميش. تكشف البرديات القبطية

---

[١] عُقد مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م بأمر من الإمبراطور مارقيان Marcian في مدينة خلقيدونية (تركيا حاليًا) لمعالجة الخلافات حول طبيعة المسيح، خاصة تعاليم أوطاخي التي تنص على طبيعة واحدة للمسيح بعد التجسد. أقر المجمع بأن للمسيح طبيعتين كاملتين ومتميزتين – إلهية وبشرية – متحدتين في أقنوم واحد. ورغم سعي المجمع لتحقيق الوحدة، أدت قراراته إلى انقسام بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس الشرقية غير الخلقيدونية، بما في ذلك الكنيسة المصرية. تفاقم هذا الانقسام بسبب فرض الإمبراطورية البيزنطية لقرارات المجمع بالقوة، مما أثر على الطقوس واستخدام اللغة في الكنائس. انظر: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م؛ الأنبا يؤانس، المجامع الكنسية، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، ١٩٩٤م.

[٢] هويدا سيد علي محمد، "مظاهر العنف في مصر البيزنطية ٢٨٤-٦٤١م، المجلة العلمية لكلية الآداب، ع ٨١، ٢٠٢٢م، ص ص ٥٨٥-٦٣٦.

[٣] مصطفى محمود محمد محمد محمد، "الوسيط الديني «الرهبان» بين حاجة المجتمع وتطلعات السلطة الإمبراطورية خلال العصر البيزنطي الباكر"، حولية سمنار التاريخ الاسلامى والوسيط، مج ٩، ع ٩، ص ص ٧٣-١٥٦.

[٤] محمد عبد الشافي محمد محمود المغربي، "المواطنة والخلاص المسيحي في مصر البيزنطية"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، مج ٦، ع ١١، ٢٠٢١م، ص ص ١١٧-١٤٧.

واليونانية عن جهود رهبانية فعّالة لفك أسر الأطفال الذين احتُجزوا بسبب ديون آبائهم، أو لمناشدة وجهاء محليين للتدخل في قضايا الاستعباد القسري نتيجة العجز المالي. لم يكن هذا الدور مجرد تجسيد للرحمة المسيحية، بل كان تأكيدًا على التزام الأديرة بإصلاح الخلل الاجتماعي والوقوف بجانب أولئك الذين لا سند لهم[١].

كذلك مارست الأديرة وظائف تحكيمية ومصالحات اجتماعية، إذ كان الرهبان يُعدّون شخصيات معتبرة يُلجأ إليها لحل النزاعات[٢]، مما أسهم في حفظ التوازن داخل المجتمعات المحلية. وقد تجاوزت هذه الوظائف النطاق الديني إلى أداء مهمات قانونية وإنسانية، أكسبت الأديرة موقعًا مركزيًا في المشهد الاجتماعي والاقتصادي، بخاصة في لحظات الانهيار أو الفراغ الإداري. لم يقتصر العمل الاجتماعي على الرهبان فحسب، بل شاركت فيه الراهبات أيضًا، حيث قمن بتقديم مساعدات نقدية وعينية، وزيارة المرضى، ورعاية المسجونين والمحتاجين[٣]. هذه المشاركة النسائية تؤكد شمولية الدور الإنساني للمؤسسات الرهبانية في المجتمع المصري.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية موضوع هذه الدراسة من كونه يسلط الضوء على جانب حيوي ومغفل أحيانًا من تاريخ مصر خلال العصر البيزنطي، وهو الدور الاجتماعي للأديرة. فبعيدًا عن كونها مجرد مراكز للعبادة والعزلة الروحانية، قدمت الأديرة في هذه الفترة نموذجًا فريدًا لمؤسسات دينية تحولت إلى شبكات أمان اجتماعي فعّالة، قادرة على ملء الفراغ الذي خلفه ضعف الإدارة الحكومية. وأسهمت في الحفاظ على تماسك المجتمع وتلبية احتياجاته الأساسية من خلال تقديم الدعم المادي والمعنوي. إن فهم هذا الدور المتعدد الأوجه يُعزز من استيعابنا لمرونة المجتمع المصري وقدرته على التكيف ومواجهة التحديات، ويُبرز الأثر العميق للمؤسسات الدينية في صياغة الحياة اليومية للأفراد.

تساؤلات البحث:

---

(1) P. Herm. 17; Dunn, M., *The Emergence of Monasticism: From the Desert Fathers to the Early Middle Ages*. Oxford, Wiley-Blackwell, 2rd Edition, 2003, p. 26; Darlene L.B.H., "Monks Baking Bread and Salting Fish An Archaeology of Early Monastic Ascetic Taste", in: *Knowing Bodies, Passionate Souls Sense Perception in Byzantium*, ed., Harvey S.A., Mullett M., Washington, DC: Dumbarton Oaks, 2017, pp. 183-206.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـ ٢، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ص ٢٣-٢٤؛ بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس مراجعة عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة ٢٠١٥م، ص ٤٢١؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، القواعد الرهبانيّة للأنبا شنوده رئيس المتوحِّدين، ترجمة موريس وهيب وبيشوي جرجس، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للأقباط الأرثوذكس بالأنبا رويس، ط١، القاهرة، ٢٠٢١م، ص ص ١٩٨-٢٠٠ ؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ثلاثة أجزاء، دير القديس باخوميوس، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ٣١٥-٣١٦؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية - القبطية، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٧م، ص ١٠١.

(2) P. Grenf. 2.93; P. Mon. Epiph.257; P. Mon. Epiph.182

(٣) محمد عثمان عبد الجليل، "الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي"، مجلة كلية الآداب بقنا، مصر، مج ٩، ع ١٠، ١٩٩٧م، ص ص ٣٤٦ – ٣٧٩؛ الانبا شنودة رئيس المتوحدين، الجزء الاول، سيرته عظاته قوانينه سلسلة النصوص المسيحية في العصور الاولى، ترجمة وتقديم: صموئيل قزمان معوض، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٩٢.

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي تهدف إلى كشف أحد جوانب الدور الاجتماعي للأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي:

- كيف تطورت الرهبنة في مصر خلال العصر البيزنطي من العزلة الفردية إلى الأشكال المؤسسية الجماعية، وما تأثير هذا التطور على قدرة الأديرة على التفاعل الاجتماعي؟
- من هم تحديدًا "الفئات الأكثر احتياجًا" الذين استهدفتهم رعاية الأديرة، وما هي الظروف التي جعلتهم في حاجة إلى هذا الدعم؟
- ما هي أبرز الخدمات الاجتماعية والإنسانية التي قدمتها الأديرة للفئات المهمشة في المجتمع المصري البيزنطي؟
- ما هي الدوافع اللاهوتية، والاجتماعية، والاقتصادية التي حركت الأديرة لتبني هذا الدور الاجتماعي الواسع، وكيف عكست هذه الدوافع المبادئ المسيحية؟
- كيف أسهمت الأديرة في تقديم الدعم الروحاني والنفسي لضحايا المحن والضيق، وما هي آليات هذا الدعم؟
- ما الدور الذي لعبته الأديرة في الجوانب القانونية والوساطة الاجتماعية، وهل تجاوزت وظيفتها الدينية في هذا الصدد؟
- ما هي الموارد التي اعتمدت عليها الأديرة في مصر البيزنطية، وكيف استثمرتها لخدمة أهدافها؟
- كيف أثر الموقع الجغرافي للأديرة في مصر البيزنطية على طبيعة هذا الدور الاجتماعي؟
- ما هي الأدلة المستقاة من البرديات، وسير القديسين، والقوانين الرهبانية التي تؤكد وتفصل هذا الدور الاجتماعي للأديرة؟

الدراسات السابقة:

غالبًا ما ركزت أغلب الدراسات التاريخية السابقة للرهبنة والأديرة في مصر البيزنطية على جوانبها اللاهوتية، أو الروحانية، أو التنظيمية (كقواعد الأنبا باخوميوس)، أو الاقتصادية. في حين قد تُشير بعضها بشكل عابر إلى الأدوار الخيرية للأديرة (مثل إطعام الفقراء) أو تتناولها كجزء من سياقات أوسع (كالاقتصاد الزراعي للأديرة أو علاقاتها بالدولة)، إلا أنها نادرًا ما تقدم تحليلًا شاملًا وعميقًا لهذه الأدوار، وهو ما تسعى هذه الدراسة لتقديمه. فعلى سبيل المثال، برزت دراسة هاني مهدي راتب زحير حول الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية الشرقية وآثارها الاجتماعية خلال القرن الرابع الميلادي[١] كنموذج لهذا التوجه. وتتطلع الدراسة الحالية إلى البناء على ذلك عبر تقديم تحليل شامل وعميق للأدوار الاجتماعية التي قامت بها الأديرة للفئات الأكثر احتياجاً.

[١] هاني مهدي راتب زحير، الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية الشرقية وآثارها الاجتماعية في القرن الرابع الميلادي، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، ع١٠، ٢٠٢٢م، ص ص ١١-٩٤.

السياق العام لدور الأديرة الاجتماعي في مصر خلال العصر البيزنطي:

يجب التمييز بين الرهبنة كفكرة دينية ترتبط عادة بالعزلة والتفرغ الروحاني، ودور الأديرة كمؤسسات اجتماعية فاعلة. بينما تُفهم الرهبنة في معظم الأحيان كممارسة فردية تهدف إلى الزهد والانعزال عن العالم، فإن الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي قامت بتوسيع هذا المفهوم لتشمل جوانب اجتماعية، حيث لعبت دورًا محوريًا في رعاية الفئات المهمشة وتقديم الدعم الاجتماعي في مواجهة التحديات السياسية والاقتصادية.

تُعد مصر مهد الرهبنة المسيحية، حيث شهدت تطورًا فريدًا في أشكالها، بدءًا من العزلة الفردية الصارمة التي تبناها العديد من القديسين، وصولًا إلى إنشاء المجتمعات الرهبانية المنظمة. فقد أسهمت مصر في تشكيل نموذج رهباني يعكس توازنًا بين الحياة الروحانية والتفاعل مع المجتمع، مما جعل الأديرة تلعب دورًا مهمًا ليس فقط في العبادة، بل أيضًا في تقديم الدعم الاجتماعي والخدمات الإنسانية [١]. يعكس هذا التطور الحاجة المتزايدة للتنظيم، ليس فقط على المستوى الروحاني، بل أيضًا الاجتماعي والاقتصادي، لمواجهة التحديات وتحقيق أهداف الحياة الرهبانية. وقد أدى هذا التحول إلى تأثير كبير على الدور الاجتماعي للأديرة، حيث أصبحت تمثل ركيزة أساسية لدعم المجتمع الخارجي، مقدمةً خدمات اجتماعية وساندة للفئات الضعيفة والمهمشة، مما جعلها تلعب دورًا محوريًا في الحفاظ على تماسك المجتمع.

يرجع تأسيس أقدم أشكال الرهبنة إلى القديس أنطونيوس الكبير St. Anthony the Great (٢٥١ – ٣٥٦م). في هذا النموذج، كان الراهب يعيش في عزلة تامة بعيدًا عن المجتمع، ويعتمد كليًا على نفسه لتلبية احتياجاته اليومية. فكان يمارس الزراعة والصناعات اليدوية البسيطة لضمان بقائه على قيد الحياة[٢]. مثّل هذا النمط تجسيدًا مثاليًا للتقشف والتفاني الروحاني الفردي. على الرغم من الطبيعة التوحدية لحياة القديس أنطونيوس، إلا أنه سرعان ما جذب العديد من التلاميذ الذين تجمعوا حوله. ويُعتبر هذا التجمع حول الأنبا أنطونيوس النواة الأولى التي أسست لتنظيم الحياة الرهبانية، مما مهّد الطريق للتحول من النمط الفردي إلى أشكال أكثر تنظيمًا وجماعية [٣].تُعرف المرحلة

---

(1) Rousseau P., *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*. University of California Press, Berkeley, 1999, pp. 57-87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٤٥ – ٥٥؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية - مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٠٤؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية، ٢٠٠٠م، ص ص ٤٥ – ٤٦.

(2) Rousseau P., *Pachomius*, pp. 57-87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٤٥ – ٥٥؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص ٣١٦؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية، ص ص ٤٥ – ٤٦.

(3) Rousseau P., *Pachomius*, pp. 57-87; Goswami A., "Hermit to Cenobitic: A Study of Early Christian Monasticism", *Proceedings of the Indian History Congress* 66, 2006, pp. 1329-1335; González J., *Story of Christianity, Volume 1: The Early Church to the Reformation.* HarperOne, 2010, pp. 265-272.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـ ١، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ص ٥٠ – ٩٠؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط ٣، ١٩٩٥م، ص ص ٥٢ – ٥٣؛ رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر

التالية من تطور الرهبنة بـ"الرهبنة شبه التوحدية" أو "التوحد الجماعي". نشأ هذا النمط في مناطق مثل نتريا Nitria، وطيبة Thebes، وأخميم Akhmim، وكان من أبرز قادتها الأنبا مقاريوس الكبير St. Macarius the Great حوالي (٣٠٠ – ٣٩٢م) [١].

في هذا النمط، لم يعد الرهبان يعيشون في عزلة تامة. بل استقروا في قلالٍ متفرقة ولكن متقاربة، وكانوا يتجمعون أسبوعيًا لأداء الصلوات وتناول الأسرار المقدسة. مثل هذا التجمع الأسبوعي انتقالًا مهمًا نحو نمط حياة جماعي، حيث بدأ الرهبان في تشكيل نوع من المجتمع، مع الحفاظ على قدر كبير من الاستقلالية الفردية في حياتهم اليومية[٢]. كان ذلك بمثابة خطوة أولى نحو بناء روابط مجتمعية أعمق، سمحت بظهور أشكال بدائية من الدعم الاجتماعي بين الرهبان أنفسهم، وربما لجيرانهم من القرى المحيطة.

ثم جاءت نقطة التحول الكبرى مع تأسيس رهبنة الشركة على يد الأنبا باخوميوس St. Pachomius (٢٩٠ – ٣٤٦م) [٣]. الذي قام بإنشاء أول دير منظم في طبانيس Tabennisi عام ٣٢١م، في هذا النموذج لم يعد الرهبان

المسيحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص ٢٧٤؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤- ٦٤١م، دار مصر العربية، ط ٣، ٢٠٠٣م، ص ١٣٨؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ج١، مكتبة كنيسة مارجرجس بأسبورتنج بالاسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ص ٤٣٨ – ٤٤٢؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة في مصر في العصر الروماني المتأخر، رسالة ماجستير- غير منشورة - كلية الآداب، جامعة بنها، ٢٠١٢م، ص ص ١٥ – ٣٠؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر: نسك ورهبنة العذارى في مصر حتى القرن السابع الميلادي، مراجعة صموئيل قزمان معوض، مدرسة الإسكندرية، ط١، ٢٠٢٢م، ص ص ٣١ – ٣٩.

[١] وُلد القديس مقاريوس الكبير حوالي عام ٣٠٠ م في قرية بتنابور Petenbour بالقرب من وادي النطرون في أسرة فقيرة فقدت جميع ممتلكاتها. نشأ محبًا للكتاب المقدس، وأصبح قارئًا في الكنيسة. اتفق مع زوجته على حياة بتولية، وكان يعمل في مرافقة القوافل لجلب النطرون. بعد وفاة زوجته بسبب الحمى، وزع ممتلكاته على الفقراء واختار حياة العزلة تعرض لاتهام زائف من امرأة قالت إنه حاول مراودتها، مما أسفر عن اضطهاده من قبل أهالي قريته ومع ولادة الطفل، اعترفت المرأة ببراءته، فاستعاد احترام أهل قريته. بعدها، انتقل إلى صحراء وادي النطرون حيث أسس حياة رهبانية مستوحاة من القديس أنطونيوس الكبير، الذي ألهمه بأسلوب حياة الزهد والعزلة والعبادة العميقة. استفاد مقاريوس من تجربة أنطونيوس في مقاومة التجارب الروحانية وبناء علاقة وثيقة بالله، مما جعله يقيم مجتمعًا رهبانيًا قويًا، ليصبح وادي النطرون مركزًا هامًا للرهبنة القبطية. انظر:

Meinardus Otto F.A., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*. Cairo, American University in Cairo Press, 1999, pp. 72-73.

[2] Rousseau P., *Pachomius*, pp. 57-87.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ص ٥٠ – ٩٠؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص ص ٥٢- ٥٣؛ رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ص ٢٧٤؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤- ٦٤١م، دار مصر العربية، ط ٣، ٢٠٠٣م، ص ٢١٨؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص ص ٧٤-٧٨؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٥ – ٣٠؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص ص ٣١ – ٣٩.

[٣] وُلد الأنبا باخوميوس في صعيد مصر من والدين وثنيين حوالي عام ٢٩٢ ميلاديًا. في شبابه، انضم إلى الجيش الروماني، وخلال فترة خدمته، تأثر بكرم ولطف المسيحيين المحليين، مما دفعه إلى اعتناق المسيحية حوالي عام ٣١٤ م. وتتلمذ على يد القديس بلامون. وقد أسس نوع جديد من الحياة الرهبانية، حياة الشركة أو الجماعة، حيث يعيش الرهبان معًا في دير واحد تحت نظام وقانون مشترك. وكان هذا النظام يشبه إلى حد كبير التشكيلات العسكرية من حيث النظام والانضباط. لمزيد من التفاصيل انظر:

Rousseau P., *Pachomius*, pp. 57-87.

يعيشون بشكل متفرق، بل بدأوا العيش معًا في دير واحد تحت قوانين صارمة تشبه النظام العسكري. استفاد الأنبا باخوميوس من تجربته العسكرية لوضع قوانين صارمة لإدارة الأديرة، حيث نظم الحياة الرهبانية على أسس جماعية واجتماعية، مما جعل رهبنة الشركة أول نظام رهباني جماعي منظم في تاريخ المسيحية [١]. كان هذا التنظيم الجماعي الشامل هو الذي مكّن الأديرة من أن تلعب دورًا اجتماعيًا متزايد الأهمية والتعقيد.

يُعتبر القرن الرابع الميلادي فترة ازدهار كبيرة للحركة الرهبانية، حيث تحولت الرهبنة إلى شكل مؤسسي ومنظم، خاصة بعد أن اعترفت الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية كديانة رسمية. شهدت مصر خلال العصر البيزنطي انتشارًا واسعًا للحركة الرهبانية، مما أدى إلى ظهور الأديرة كمراكز روحانية ذات تأثير بارز، خصوصًا في الصحاري. ورغم عزلة هذه الأديرة وانقطاعها عن الحياة الاجتماعية الظاهرة، فإنها لعبت دورًا حيويًا في تقديم الدعم الروحي والمادي للمجتمع المصري، في إطار دورها الديني والاجتماعي المتكامل. خلال هذه الفترة، انتشرت الأديرة في مصر السفلى، وملأت الصحاري المصرية بالرهبان، مما جعلها واحدة من أبرز مراكز الحياة الرهبانية[٢].

برزت الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي في ثلاث مناطق رئيسية، هي: وادي النطرون، البهنسا Oxyrhynchus، وطابنا Tabennesi بالقرب من أخميم، حيث أنشأ الرهبان أديرتهم بعيدًا عن التجمعات السكانية[٣] .

برزت برية شيهيت Scetis في وادي النطرون كأحد أبرز المراكز الرهبانية في العالم المسيحي، حيث جذبت العديد من الرهبان الذين كانوا يسعون للزهد والتفرغ الكامل للعبادة. كما شهدت مدينة البهنسا في القرن الخامس الميلادي ازدهارًا رهبانيًا كبيرًا، حيث ضمت ١٢ كنيسة وكان فيها حوالي ١٠,٠٠٠ راهب و١٢,٠٠٠ راهبة. إلى

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٣ – ٢١١؛ جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ترجمة فهيم عزيز، ج ٢، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٤٨؛ منير شكري، الرهبنة القبطية وآبائها، ضمن قراءات في تاريخ الكنيسة، رسالة مارمينا الرابعة عشرة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ص ٣٨١ – ٣٩١.

(1) Rousseau P., *Pachomius*, pp. 57-87; Harmless W., *Desert Christians. An Introduction to the Literature of Early Monasticism*, Oxford, Oxford University Press, 2004, pp. 123, 143.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ١٨٩-١٩٤؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص ٢١٩؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص ص ٨٣-٨٩؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٥ - ٣٠؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص ص ٣١ - ٣٩.

[٢] ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٥ - ٣٠؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص ص ٣١ - ٣٩.

(3) Rousseau P., *Pachomius*, pp. 57-87.

رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ص ٢٧٤؛ رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص ٢٢٠؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٥- ٣٠؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص ص ٣١- ٣٩.

جانب هذه المراكز الكبرى، استقر بعض الرهبان في المقابر والمعابد المهجورة على ضفاف نهر النيل في الأقصر، مما يعكس اتساع الحركة الرهبانية وانتشارها في مختلف مناطق مصر[١].

بحلول القرن الخامس الميلادي، توسعت الرهبنة المصرية لتشمل رهبانًا من جنسيات متعددة. على سبيل المثال، ضم دير السريان[٢] رهبانًا مصريين وسوريين، بينما احتوى دير البراموس[٣] على رهبان من المصريين والرومان. هذا التنوع عزز مكانة الرهبنة المصرية كنموذج رهباني عالمي[٤]. في المقابل، حافظت أديرة الأنبا شنودة على طابع مصري أصيل، حيث لم يسمح بانضمام أي أجنبي إليها. كان الرهبان في هذه الأديرة متمسكين بشدة بلغتهم القبطية[٥]، وكانت جميع كتابات الأنبا شنودة باللغة القبطية الصعيدية، مما يُبرز حرصهم على الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية المصرية كجزء أساسي من حياتهم الروحانية واليومية[٦].

في ظل تطور البنية الكنسية خلال الحقبة البيزنطية في مصر، لم تعد الرعاية الاجتماعية مجرّد نشاط ديني ارتجالي، بل تحوّلت إلى منظومة مؤسسية متكاملة. تمكنت الأديرة من تقديم خدمات اجتماعية واسعة النطاق للمجتمعات المحيطة بفضل الموارد التي كانت تجمعها من الزراعة، والهبات، وغيرها، بالإضافة إلى التنظيم الجيد

---

[١] ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٥-٣٠؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص ص ٣١- ٣٩.

[٢] يُعتبر دير السريان أحد الأديرة العريقة في وادي النطرون بمصر، وقد تأسس في القرن الرابع الميلادي. يمتاز بكونه موطنًا لعدد من الرهبان السريان الذين قدموا من بلاد الشام، مما جعله يتميز بتعدد جنسيات رهبانه. على مر العصور، كان له دور كبير في نقل الفكر الرهباني من مصر إلى أنحاء أخرى من العالم المسيحي. أيضًا، تُعد المكتبة في دير السريان من أهم المكتبات التي تحتوي على مخطوطات قبطية نادرة، مما أسهم في الحفاظ على التراث المسيحي. انظر:

Kondos M.E.S., "Monasteries of Wadi al-Natrun as a destination of the Holy Family Journey". *Journal of Arts and Humanities*, 2017, 84(4), pp. 752-779.

[٣] دير البراموس هو من أقدم الأديرة في وادي النطرون، وقد أسس في القرن الرابع الميلادي. تأسس على يد القديس موسى الأسود، الذي يعد أحد أبرز القديسين في تاريخ الرهبنة القبطية. يُعرف الدير بتعدد جنسيات رهبانه الذين انتموا إلى خلفيات متنوعة، بما في ذلك المصريين والسوريين. انظر:

Kondos M.E.S., Monasteries of Wadi al-Natrun, pp. 752-779.

[٤] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٧٧.

[٥] بالرغم من أن اللغة اليونانية كانت اللغة الرسمية في الإدارة والتعليم واللاهوت في العصر البيزنطي، فإن اللغة القبطية ظلّت اللغة الحية لغالبية المصريين، ولغة التواصل اليومي والتعبير الديني، بخاصة في الأرياف. لقد لعبت الأديرة المصرية دورًا محوريًا في الحفاظ على اللغة القبطية وتطويرها، ليس فقط من خلال استخدامها في الطقوس الدينية، بل أيضًا بتحويلها إلى وسيلة للتعليم ونقل القيم الثقافية والدينية. وهو ما يُعد خطوة جريئة ذات أبعاد وطنية عميقة في مواجهة الهيمنة اليونانية. في فترة كانت فيها اليونانية هي لغة الفكر، والثقافة، والعقيدة في الشرق، أعلنت الأديرة، بدعم من الشعب المصري، تخليها التدريجي عن استخدام اليونانية والتحول إلى اللغة القبطية. انظر:

Gardiner A., *Egyptian Grammar*. Oxford, Oxford University Press, 1957, p. 5.

خيري أبو العزايم فرجاني، الدور الوطني الكنيسة المصرية - صفحات مضيئة على مر العصور، مكتبة مصر الجديدة ٢٠١٧م ص ٥٣

[6] Gardiner A., Egyptian Grammar, p. 5.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٧٧؛ عزيز سوريال عطية، "الكنيسة القبطية والروح القومي في مصر فى العصر البيزنطي"، المجلة التاريخية المصرية، ١٩٥٠م، مج ٣، ع ٣، ص ص ١-١٤؛ ملاك إبراهيم يوسف، دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي، معهد الدراسات القبطية بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٦٧؛ خيري أبو العزايم فرجاني، الدور الوطني الكنيسة المصرية، ص ٥٣.

الذي كانت تتمتع به. فقد أسست الأديرة مؤسسات خيرية دائمة، مثل دور لإيواء كبار السن، مراكز لتوزيع الطعام على الفقراء، مأوى للمشردين، ورعاية للمرضى. هذا الدور الاجتماعي والإنساني للأديرة ساهم بشكل كبير في دعم المجتمع، بخاصة في ظل الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة[١].

اتسم المجتمع في مصر خلال العصر البيزنطي (٢٨٤–٦٤١م) بتعدد أشكال التهميش الاجتماعي، نتيجة لتشابك العوامل الاقتصادية والسياسية والدينية. فقد واجهت شرائح واسعة من السكان، كالفلاحين الفقراء، والعمال غير المهرة، والأرامل، واليتامى، والمُثقَلين بالديون، خطر التهميش والحرمان من مظلة الدعم الرسمي[٢]. وأسهمت السياسات الجبائية المجحفة، وسوء إدارة الأقاليم، إلى جانب التوترات الطائفية الناتجة عن هيمنة النخبة البيزنطية الناطقة باليونانية على حساب الأقباط المحليين، في تعميق الفوارق الاجتماعية[٣]. في ظل هذا الواقع، برزت الأديرة كمؤسسات بديلة تؤدي وظائف اجتماعية وإنسانية حيوية، حيث وفّرت لهؤلاء المهمشين ملاذًا حقيقيًا، شمل الإيواء، وتقديم الطعام، والرعاية الروحانية، بل وتدخّلت أحيانًا في فضّ النزاعات أو التوسط لفك أسر المعوزين، مما رسّخ مكانتها كجهات إنقاذ اجتماعي تتجاوز الدور الرهباني التقليدي.

كان الأباطرة البيزنطيون يقدرون الكنيسة والأديرة كثيرًا، بسبب تأثيرها الكبير في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية. لم تكن العلاقة بين الأديرة والسلطات في مصر البيزنطية بسيطة، بل كانت تتراوح بين التعاون والتوتر. تمتعت الأديرة باستقلالية كبيرة، مما سمح لها بتطوير أنشطتها الاجتماعية والإنسانية. ومع ذلك، كانت تخضع لرقابة غير مباشرة من الدولة، خاصة فيما يتعلق بالأملاك والضرائب. في فترات الأزمات، كان الرهبان يلعبون دور الوسيط بين الشعب والسلطة، مما ساعد في تعزيز دور الأديرة كمؤسسات قادرة على سد الفراغ الناتج عن ضعف الإدارة المركزية[٤].

لم تكن الروح الرهبانية بمعزل عن العمل الخيري والإحسان؛ بل كانت تُجسد القيم المسيحية في مساعدة الضعفاء والمحتاجين. فقد اعتقد الرهبان أن ذلك خدمة للمسيح ومحكاة وتشبهًا به، وكانوا يأملون بأدائهم لأعمال الخير الرحمة والمغفرة لذنوبهم. فقد أكدت نصوص الكتاب المقدس على أن ضيافة الغرباء وإغاثة المحتاجين كانت جزءًا من فلسفة الرهبنة، مثل: "لأنّي جُعتُ فأطعَمتُموني، وعَطِشتُ فسَقَيْتُموني، وكُنتُ غَريبًا فآوَيْتُموني، وعُريانًا فكَسَوْتُموني، ومَريضًا فزُرتُموني، وسَجينًا فجِئتُم إليّ" (متى ٢٥:٣٥)، و"إنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا، اذْهَبْ وَبِعْ كُلَّ مَا تَمْلُكُ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ. بِهَذَا تَمْلُكُ كَنزًا فِي السَّمَاءِ. ثُمَّ تَعَالَ وَاتبَعْنِي" (متى ١٩:٢١)، و"كلما فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي

---

(1) Roullard G., *Administration Civile D' Egypte Byzantine*. paris, 1928, p. 222.
هويدا محمد احمد، "الفلاح المصري في العصر البيزنطي (٢٨٤-٦٤١م)"، مجلة كلية اللغة العربية بإتاى البارود، مج ٣٤، ع ٣، ٢٠٢١م، ص ص ٣٠٣٥-٣٠٧٨.

(٢) هويدا سيد علي محمد، مظاهر العنف في مصر البيزنطية، ص ص ٥٨٥-٦٣٦

(3) Roullard G., *Administration Civile D' Egypte Byzantine*, pp. 168-169.
السيد الباز العريني، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٣٢٤ ؛ زبيدة محمد عطا الله، قبطي في عصر مسيحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٦.

(٤) مصطفى محمود محمد محمد محمد، "الوسيط الديني «الرهبان»، ص ص ٧٣-١٥٦؛ هويدا سيد علي محمد، مظاهر العنف في مصر البيزنطية، ص ص ٥٨٥-٦٣٦.

فعلتم" (متى ٢٥: ٤٠)، و"طوبى للرحماء، فإنهم يُرحمون" (متى ٥: ٧)، و"كونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم" (لوقا ٦: ٣٦). هذه الإشارات الكثيرة للعمل الخيري تتردد أصداؤها بقوة في كتابات آباء الكنيسة. على سبيل المثال، وصف القديس كليمنت الإسكندري (حوالي ١٥٠-٢١٥م) العمل الخيري بأنه من أعظم صفات الرب نفسه[١].

من الأهمية بمكان أن نوضح أن الدور الاجتماعي للأديرة لم يبرز من فراغ، بل كان امتدادًا وتجسيدًا لالتزام أوسع من قبل الكنيسة الأرثوذكسية ككل تجاه الرعاية الاجتماعية والخيرية. انطلاقًا من الأساس المبكر لقيم المسيحية في الحث على أعمال الخير، واصلت الكنيسة في مصر خلال العصر البيزنطي ترسيخ تقاليد الرعاية والخدمة الاجتماعية من خلال إنشاء مؤسسات خيرية تحت إشراف الرهبان، لتقديم أعمال الرحمة وتوزيع المساعدات على المحتاجين. وقد خُصص جزء كبير من موارد الكنيسة، التي اعتُبرت ملكًا للجماعة المسيحية، لتغطية احتياجات الفئات الضعيفة في المجتمع. وشملت هذه الرعاية تمويل دور لإيواء العجزة، والاعتناء بالمرضى، وتقديم الدعم للأرامل والأيتام. بفضل الهبات والتبرعات السخية، تحولت المؤسسة الدينية إلى أحد أغنى الكيانات في مصر، لدرجة أن أحد المؤرخين وصف الكنيسة بأنها "أغنى رجل في مصر"[٢]، في إشارة إلى حجم ممتلكاتها وتأثيرها الاقتصادي.

تُقدم البرديات أدلة عملية على التزام الكنيسة بالرعاية الاجتماعية، حتى على أعلى المستويات الهرمية. على سبيل المثال، تكشف بردية تعود لعام ٤٨٠م عن كيفية إدارة الكنيسة لمواردها وتوزيعها بشكل منظم على المحتاجين[٣]. تشير الوثيقة إلى أمر صادر من الكنيسة إلى بطرس، المسؤول المالي والاداري عن ممتلكات الكنيسة ومواردها (Qikonomos)، يطلب منه تسليم معطف للأرملة صوفيا من بين مجموعة الأثواب التي بحوزته. تُظهر هذه الوثيقة بوضوح وجود نظام منظم لتوزيع الملابس، مما يُرجح أن بطرس كان مسؤولًا عن تقديم المساعدات العينية للفئات المحتاجة، مثل الأرامل. كذلك تؤكد الوثيقة أن المساعدات كانت تُقدّم في شكل مساعدات عينية (مثل الملابس)، وهو ما كان يُعتبر ضروريًا لتلبية احتياجات المواطنين الأساسية في تلك الفترة. يعكس هذا التنظيم الإداري والنهج الرحيم الذي تبنّته الكنيسة في رعاية المهمشين. أيضًا تُظهر وثيقة P. Oxy. 67.4620[٤] أن الكنيسة كانت تُخصّص كميات ضخمة من القمح لإطعام الأرامل.

(1) Clement of Alexandria. *Paedagogus* (The Instructor). The Ante-Nicene Fathers (Grand Rapids, Mich.: Erdmann's), vol. II, 1951, p. 228.
(2) Hardy E.R., *The Large Estate of Byzantine Egypt*, New York: Columbia University Press, 1931, p. 234.
(3) P. Wisc. 2.64
(4) P. Oxy. 67.4620

كذلك تُسلط رسالة [١] من مدينة أوكسيرينخوس Oxyrhynchus (البهنسا) في القرن السادس الميلادي الضوء على استجابة الكنيسة بتخصيص بعض مواردها لدعم عائلة كبيرة تعاني من نقص الموارد ولا تجد ما تُطعم به أبناءها. وتُظهر الوثيقة بوضوح أن الكنيسة، ممثلة بالأسقف وإدارتها (مدير الضيعة)، كانت لديها نظام مُنظم لمواجهة الفقر والعوز، مما يعكس التزامها بخدمة المجتمع المحلي، خاصة الفئات الأكثر احتياجًا. وتتجلى أبعاد هذا الالتزام في أحداث فترة بابوية البطريرك أبوليناريوس Pope Apollinaris (٥٥١–٥٧٠ م)، حيث تدخل لمساعدة شاب من الاسكندرية فقد ثروته بسبب حوادث مفجعة، وذلك بأسلوب يحفظ كرامته عبر ترتيب دين وهمي على الكنيسة. حيث استدعى البابا المسؤول المالي وطلب تحرير وثيقة تُثبت أن الكنيسة مدينة لوالد الشاب، بمبلغ خمسين جنيهًا ذهبياً[٢]. وهنا تجدر الإشارة إلى أن البطريرك يوحنا الرحوم John the Merciful (يوحنا المتصدق)[٣]، الذي عاش في أواخر القرن السادس وبدايات السابع الميلادي، قد برز كنموذج للقيادة الكنسية التي جمعت بين التقوى والعمل الاجتماعي. فقد اشتهر بإحسانه المستمر، حيث كان يطعم الفقراء، ويؤسس الملاجئ والمستشفيات لخدمة المرضى والجرحى. ولم يقتصر إحسانه على الطبقات الفقيرة فحسب، بل شمل أيضًا الأغنياء الذين ساءت أوضاعهم، فاستجاب لطلباتهم بكل رحمة وتواضع، مُلبيًا حاجاتهم بروح من المسؤولية والرحمة[٤]. أولى البطريرك يوحنا الرحوم اهتمامًا كبيرًا بمعرفة الفقراء والمحتاجين في مدينة الإسكندرية، حيث أرسل موظفين لجمع بيانات دقيقة عنهم، وسجلوا قائمة بأسمائهم. وكان يُرسل لهم رزقهم اليومي، وقد بلغ عددهم حوالي ٧٥٠٠ فقير. كثيرًا ما كان يوحنا يجد نفسه في حيرة بين تخصيص أموال الكنيسة لمشاريع البناء أو توزيعها على الفقراء لشراء الملابس لهم، مما يُظهر التزامه العميق بمسؤوليته الاجتماعية والدينية في نفس الوقت[٥].

---

(1) P. Oxy. 16.1848

(٢) تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج، ٢٠٠٥م، ص ١٦٢؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ١٩٨.

(٣) عرف عن البطريرك الملكاني يوحنا المتصدق Jean L' Aumonier (٦٠٩-٦١٧م) دوره الهام في التخفيف عن أهالي بلاد الشام أثناء تعرضهم للغزو الفارسي عام ٦١٤م. فمن مقره في الإسكندرية، قاد حملة إغاثة واسعة للتخفيف عن معاناة أهالي المدن المحاصرة، وعلى رأسها بيت المقدس. أظهر يوحنا المتصدق كرمه ببدء الحملة بنفسه، حيث أرسل كميات كبيرة من الطعام والملابس والأموال للمدينة. ولم يكتفِ بذلك، بل أرسل وفدًا دينيًا رفيع المستوى يضم ثيودور Theodore أسقف مدينة أماثوس Amathus القبرصية، وإنستاسيوس Anastasius رئيس دير القديس أنطون في سيناء، وجورج George أسقف العريش. كان هذا الوفد يحمل مبلغًا هائلاً قدره مائة ألف قطعة ذهبية، بهدف فداء أسرى المدينة، خاصة الرهبان والراهبات، انظر: ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص ٤٣٥؛ ياسر مصطفى عبد الوهاب، الغزو الفارسي لمصر(٦١٦-٦٢٨م)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٣٠-٣١.

(٤) تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي، ص ١٦٢؛ هاني مهدي راتب زحير، الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية الشرقية، ص ص ١١-٩٤.

(5) Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp.183-206.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٣٥-٢٣٦؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص ١٩٨؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص ص ٣١٥-٣١٦.

وإذا كانت الوثائق السابقة تُبرز الدور المركزي الذي أدّته الكنيسة في تقديم الدعم المباشر للفئات المهمشة، من خلال تأمين الغذاء والمأوى ورعاية الأرامل والمحتاجين، فإن وثيقة P. Oxy. 27.2478[١] تُكمل هذه الصورة بإبراز شكل مغاير من الرعاية يتمثل في التدخل القانوني لحماية الفئات الضعيفة. فبدلًا من العطاء العيني أو المؤسسي، مارست الكنيسة هنا دور الضامن القانوني الذي يُوفّر الحماية والاستقرار للعاملين، عبر نظام الكفالة. هذا الدور، الذي جسّده أحد مسؤولي الكنيسة في كفالة عامل بساتين، يُبيّن كيف توسعت شبكة الرعاية الكنسية لتشمل دعمًا قانونيًا واجتماعيًا، مما يُعزز حضورها كقوة فاعلة في حياة الفئات المهمشة، سواء بالمساعدة المباشرة أو بالوساطة المؤسسية. فهذه البردية هي سند كفالة من مدينة أوكسيرينخوس يعود إلى عام ٥٩٥/٥٩٦ ميلادي، شهادة نادرة على أحد الأدوار غير المباشرة التي أدّتها الكنيسة في دعم الفئات المهمشة في المجتمع البيزنطي. لا تكشف الوثيقة عن تقديم رعاية مادية مباشرة، بل تُمثل نموذجًا للدور الوسيط والحمائي الذي اضطلعت به الكنيسة من خلال نظام الكفالة القانونية، بما يوفّره من ضمانات واستقرار اجتماعي واقتصادي للعمال والفلاحين. تُبرز الوثيقة قيام زكريا Zacharias، الذي يُعرّف بأنه "مدبّر كنيسة القيامة المقدسة، بكفالة شخص يُدعى بامبيخيوس Bambichios، وهو عامل بساتين مرتبط بعقار يملكه فلافيوس أبيون Flavius Apion، أحد كبار ملاك الأراضي في أوكسيرينخوس. إن قبول الكنيسة، ممثلةً في أحد كبار مسؤوليها، بدور الكفيل في هذا السياق، يُشير إلى المكانة الموثوقة التي تمتعت بها المؤسسة الكنسية في التعاملات المدنية. هذه الثقة القانونية والاجتماعية لم تكن تُمنح إلا للجهات التي تتمتع بمصداقية عالية، وقدرة على الإيفاء بالالتزامات أمام الدولة والمجتمع.

على الرغم من أن نظام الكفالة كان يلزم الكنيسة بضمان التزام العامل بواجباته تجاه المالك، فإنه في الوقت نفسه قدم حماية غير مباشرة للعامل. فوجود كفيل من رجال الدين الذين يتمتعون بنفوذ اجتماعي وديني، ساعد في ضمان استقرار العلاقة بين العامل وصاحب العمل، مما قلل من احتمالات التعسف أو الإقصاء. بذلك، لم تقتصر الكنيسة على تقديم الدعم المادي، بل لعبت دورًا ضامنًا يعزز العدالة الاجتماعية، ويمنح الفئات الضعيفة نوعًا من الأمان في التعاملات مع كبار الملاك. تُكمل هذه الوثيقة ما تواتر في وثائق أخرى، مثل P. Oxy. 67.4620 و P. Oxy. 16.1910[٢]، حول الأدوار المتعددة التي لعبتها الكنيسة في تكوين شبكة أمان اجتماعي شاملة. فإلى جانب تقديم الغذاء والمأوى والرعاية الصحية عبر المؤسسات الخيرية، لعبت الكنيسة أيضًا دورًا قانونيًا في حماية الأفراد وتعزيز فرصهم في البقاء داخل المنظومة الاقتصادية. ويُعد نظام الكفالة مثالًا على هذه الممارسة، إذ جمعت بين الطابع القانوني والديني في آنٍ واحد.

مع نمو المسيحية وتوسعها، أدركت الكنيسة أهمية توفير شبكات دعم منظمة. فقامت الكنيسة بإنشاء الزنودوكيون كاستجابة منظمة لاحتياجات المجتمع. ظهرت مؤسسات الزِنودوكيون Xenodocheia ككيانات متخصصة، مثلت امتدادًا عمليًا لفكر الكنيسة الخيري ومكملاً حيويًا للبنية الاجتماعية. هذه المؤسسات لم تكن مجرد أماكن للمسافرين،

(1) P. Oxy. 27.2478
(2) P. Oxy. 67.4620; P. Oxy. 16.1910

بل تطورت لتقدم رعاية شاملة ومتخصصة. فقد وفرت المأوى والطعام للحجاج والفقراء والغرباء، كما ضمت أقسامًا متخصصة كالمستشفيات لرعاية المرضى، والملاجئ للأيتام والمحتاجين. تُثبت البرديات، مثل P. Oxy. 16.1910، تخصيص كميات كبيرة من القمح لهذه المؤسسات، دليلاً على وجودها الفعلي ودعمها المادي المنتظم لتمكينها من إيواء المرضى والمحتاجين وتوفير الغذاء والعلاج. كما تُظهر بردية P.S.I. 4.284 أن الزنودوكيون لم تعتمد على التبرعات فحسب، بل امتلكت حقوقًا مالية وملكية وأُديرت بواسطة اقتصاديين، مما يعكس اندماجها ضمن نظام الملكيات الكنسية وإدارتها المنظمة. وتؤكد بردية P. Oxy. 27.2480 مكانتها المتقدمة داخل الاقتصاد المحلي، حيث كانت تتلقى الموارد جنبًا إلى جنب مع الكنائس والأديرة، ما يدل على أنها كانت مؤسسات خدمية معترفًا بها رسميًا وفعليًا. في كثير من الأحيان، كانت الزنودوكيون تُبنى بجوار الأديرة الكبيرة أو تُدار بواسطتها[١]، حيث كانت الأديرة توفر القوى البشرية (الرهبان والراهبات) لإدارة هذه المؤسسات، بالإضافة إلى الموارد الاقتصادية التي تملكها. هذا التكامل عزز من قدرة الأديرة على توسيع نطاق تأثيرها الاجتماعي إلى خارج جدرانها[٢].

لم تكن هذه الممارسات الخيرية عارضة، بل كانت نابعة من وعي لاهوتي راسخ بالدور الاجتماعي للمسيحية. فقد كانت شبكة الرعاية التي نظمتها الكنيسة في تلك الفترة استجابة مباشرة لفراغ الدولة وفشلها في أداء مهامها[٣]. في هذا السياق الواسع لدور الكنيسة الاجتماعي، برز الدور المتخصص والعميق الذي لعبته الأديرة في مصر البيزنطية. فلم تكن الأديرة كيانات منعزلة، بل كانت جزءاً لا يتجزأ من شبكة الرعاية الاجتماعية الأوسع للكنيسة. فقد كانت الكنيسة تُوجه الموارد إلى الأديرة[٤]، التي بدورها كانت تُسهم في تنفيذ الأجندة الخيرية للكنيسة على المستوى المحلي والمُتخصص، مستفيدة من تنظيمها وقدرتها على الوصول إلى الفئات المستضعفة. فق قامت بدور محوري في تجسيد هذه المبادئ الخيرية على أرض الواقع بشكل مباشر ومُركز، مما عزز استقرار المجتمعات المحلية. ومن أبرز النماذج على هذه الأعمال الخيرية كان دير أوكسيرينخوس، الذي اشتهر بتقديم الطعام والشراب للفقراء. فقد ذكر بلاديوس Palladius[٥] أن رهبان دير الأنبا باخوميوس كانوا يوزعون لحوم الخنازير على الفقراء، كصورة ملموسة لمحبّة المسيح وتجسيد فعلي لقيم الخدمة والرعاية الإنسانية[٦]. يُعدّ القديس باخوميوس مثالًا بارزًا على التفاعل

(1) P. Oxy. 67.4620
(2) Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp. 183-206.
(3) Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp. 183-206.
(4) P. Oxy. 67.4620
(٥) وُلد بلاديوس في منطقة جلاطية بآسيا الصغرى (تركيا حاليًا) حوالي عام ٣٦٣ ميلاديًا، ونشأ في بيئة مسيحية مع تعليم جيد. انجذب مبكرًا إلى الحركة الرهبانية المزدهرة في مصر وفلسطين، فسافر إلى مصر حوالي عام ٣٨٨ ميلاديًا. هناك، أمضى سنوات عديدة يتردد على الأديرة والتجمعات النسكية في صحراء النطرون والإسقيط (وادي النطرون حاليًا)، حيث التقى بشخصيات رهبانية بارزة. يُعد بلاديوس من أهم مؤرخي الرهبنة القبطية، وعمله الرئيسي، "التاريخ اللوزياكي" والمعروف أيضًا باسم "بستان الرهبان"، يُشكل مصدرًا ثمينًا لفهم تطور الرهبنة المسيحية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين. رغم تركيزه على الجانب الروحاني، إلا أنه أشار أيضًا في عدة مواضع إلى الجوانب المعيشية اليومية للنساك، مثل الملبس والمأكل والمشرب والعمل. انظر: منير شكري، الرهبنة القبطية وآبائها، ص ٣٤١.
(٦) بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص ٤٢١.

الرهباني مع المجتمع، إذ أنشأ كنيسة خاصة لأهالي قرية "طَبَنِيس"، وحرص على زيارتهم بانتظام لتقديم الرعاية الروحانية والاحتياجات الحياتية، بما يعكس تكامل الحياة الرهبانية مع واقع المجتمع المحيط[١]. من خلال هذه الممارسات، ساهمت الأديرة في تشكيل علاقة تفاعلية مع المجتمع، مما عزز دورها كمؤسسات اجتماعية محورية تسهم في استقرار المجتمع.

الدعم الروحاني والنفسي لضحايا المحن:

لم تقتصر وظيفة الأديرة على الجانب التعبدي فقط، بل تحوّلت إلى ملاذ آمن يلجأ إليه المحتاجون في أوقات الشدة والضيق. فقد قصدها الفقراء والمرضى والمهمشون ليس فقط طلبًا للطعام والمأوى، بل أيضًا بحثًا عن السكينة النفسية والتعزية الروحانية. وفي ظل غياب مؤسسات رعاية رسمية فاعلة، قامت الأديرة بدور مزدوج، يجمع بين خدمة الجسد واحتضان الروح، بخاصة للفئات الضعيفة مثل الأرامل والنساء وذوي الحاجات. بالإضافة إلى الدعم الروحاني، كانت الأديرة تمثل أيضًا أماكن للتعزية النفسية والمعنوية. في مجتمع مليء بالتحديات، كان وجود جماعة من الرهبان يُصلون من أجل الأفراد ويشملونهم برعايتهم الروحانية يُعد مصدرًا للأمل والطمأنينة[٢]. وكان هذا الدعم الروحي يساعد في تخفيف الحزن واليأس، وتمكين الأفراد من الصمود أمام المحن. لم تكن الأديرة مجرد أماكن عبادة معزولة، بل كانت مجتمعات مليئة بالرحمة والتراحم، حيث كان الأفراد يشعرون بالقدرة على طلب المساعدة والتعبير عن ضعفهم دون خجل[٣].

داخل هذه الأديرة، وفّرت الأجواء الهادئة، والصلوات اليومية، ومجالس الإرشاد الروحاني بيئة مريحة لمن يعانون من القلق أو الحزن أو فقدان الأمل. وكان يُعتقد أن صلاة الرهبان وشفاعة القديسين تساعد على التخفيف من الآلام النفسية، بل وتمنح الشفاء أحيانًا. هذه البيئة الروحانية ساعدت في منح الأفراد شعورًا بالسلام الداخلي، وأعطتهم القوة لمواجهة صعوبات الحياة. بالإضافة إلى ذلك، كانت الأديرة تُعزز من التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، حيث يُشعر الناس بأنهم جزء من جماعة تتبادل الدعم والرعاية في أوقات الشدة [٤].

تُظهر بردية DCLP 65198[٥]، وهي جزء من صلاة القداس الإلهي، كيف كان الشفاء يُنظر إليه كأحد ثمار الاشتراك في الأسرار الكنسية، مثل التناول من الجسد والدم. فالنص يشير بوضوح إلى أن البركة التي يحصل عليها

---

(١) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٢٤.

(2) P. Lond. VI 1925

(3) de Bruyn T., "Occasional Prayers Written by Monks and Visitors at the Monastery of Apa Apollo." In *Studia Patristica*, Vol. CVIII: Papers presented at the Eighteenth International Conference on Patristic Studies held in Oxford 2019, edited by Markus Vinzent and Claudia Rapp, 103–114. Leuven–Paris–Bristol, CT: Peeters, 2021.

(4) de Bruyn T., Occasional Prayers Written by Monks and Visitors at the Monastery of Apa Apollo, 2021.

(5) DCLP 65198; Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp. 183-206.

المؤمنون تشمل "الشفاء والعلاج"، و"القوة والفرح". وبالرغم من أن البردية لا تذكر الأديرة تحديدًا، فإنها تعكس فهمًا دينيًا كان يُمارس داخلها بانتظام، ما جعلها محط أنظار من يبحثون عن الشفاء الروحاني والنفسي.

ففي الأديرة كانت تُرفع أدعية خاصة تستهدف حاجات المجتمع الملحة. لم تقتصر هذه الصلوات على طلب الشفاء للمرضى أو السلامة للمسافرين، بل امتدت لتشمل الدعاء للأموات وسلامة عامة الناس. ونظراً للطبيعة الزراعية لمصر، أولت الأديرة اهتماماً خاصاً بالصلاة من أجل الزراعة، وما يؤثر فيها من أحوال الطقس والمياه، بما في ذلك صلوات الاستسقاء ودرء الفيضانات وضمان حصاد وفير. وكانت تنظيم الصلوات لتتماشى مع فصول السنة الزراعية مما يُظهر تفاعل الكنيسة العملي مع إيقاع حياة الفلاحين[١]. ففي سنوات جفاف النيل، كان الأنبا شنودة يعتزل الدير، متوجهًا إلى البرية للصلاة والتضرع إلى الله، داعيًا إياه أن يُزيل الغمة ويُغيث الأمة. كما كان يحث رهبانه على الصلاة من أجل ذلك، قائلًا لهم: "صلوا إلى الله يا أولادي من أجل أن يرتفع النيل، ويعم الرخاء البلاد" [٢]. لم تكن هذه الصلوات مجرد طقوس، بل كانت انعكاسًا لدور الأديرة الشامل كمؤسسة اجتماعية تُعنى بجميع جوانب حياة الأفراد والمجتمع، من توفير الدعم الروحاني والنفسي.

تُظهر بردية P. Lond. VI 1926[٣] يُعتبر جانب الدعم الروحاني والنفسي الذي قدمته الأديرة للفئات الضعيفة والمهمشة أمرًا بالغ الأهمية، كما يتضح من رسالة فاليريا Valeria إلى الراهب آبا بافنوتيوس Appa Paphnoutios. لم تطلب فاليريا علاجًا طبيًا أو دواءً، بل اقتصر طلبها على التماس صلوات الراهب من أجل شفائها، مما يعكس إيمان الناس في تلك الفترة بأهمية الشفاعة الروحانية ودور الرهبان في التوسل إلى الله. كما عبّرت فاليريا عن ارتباطها العاطفي بالراهب عندما قالت إنها لم تتمكن من الحضور بجسدها، لكنها كانت حاضرة "بالروح"، وهو تعبير يبرز عمق العلاقة النفسية والروحانية بين الناس والرهبان. ولم تقتصر رسالتها على طلب الشفاء لنفسها، بل شملت أسرتها أيضًا، حيث طلبت الصلاة من أجل بناتها وزوجها، كان الرهبان يمثلون حالة خاصة عند دخولهم الساحة العامة، حيث كانوا في المقام الأول رهبانًا وليسوا جنودًا أو تجارًا. وقد كانت القضايا التي يهتمون بها غالبًا نبيلة، حيث لم يكونوا يستفيدون ماديًا من أفعالهم. هذا يوضح كيف كان الرهبان يُعتبرون مصدر دعم روحي لجميع أفراد الأسرة، حيث كانوا يُنظر إليهم كمصدر للثقة والراحة النفسية في أوقات المرض والضيق. كما يظهر من أسلوب الخطاب أن الراهب كان يحظى بمكانة كبيرة في المجتمع، ويُعتبر ملاذًا للراحة والطمأنينة في أوقات الشدة [٤].

---

[١] مراد كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، د.ت، ص ١٨٣؛ مصطفى محمود محمد محمد محمد، "الوسيط الديني «الرهبان»، ص ص ٧٣-١٥٦.

[2] Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi* (Traduite de l'Arabe). In Memoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire (1885 - 1886). T.4 Paris, 1888, pp. 410-411, 424, 458-459.

[3] P. Lond. VI 1926

[4] de Bruyn T., Occasional Prayers Written by Monks and Visitors at the Monastery of Apa Apollo, 2021.

في نفس السياق لعبت الأديرة دورًا فاعلًا كمراكز لتسكين الألم الروحاني، ومنح الطمأنينة والدعم النفسي في هذا الإطار، تقدم وثيقة P. Mon. Epiph. 250[١] مثالًا على هذا التفاعل، يوجه أحد الأفراد رسالة إلى أحد الرهبان يطلب فيها البركة والشفاعة من أجل "ابنه المريض". هذا الطلب يعكس إيمانًا بأن صلوات الرهبان تملك قوة شفائية روحانية تساعد على تخطي المعاناة. كما عبّر المرسل عن حيرته في طبيعة المرض، مما يشير إلى انتظاره لتفسير روحي يتجاوز التشخيص الطبي. تكشف هذه الوثيقة عن دور الرهبان كمرشدين نفسيين يقدمون دعمًا معنويًا إلى جانب الإرشاد الروحاني، مما يجعل الأديرة ملاذًا نفسيًا للفئات الضعيفة. لا يقتصر دور الأديرة على الدعم المادي فقط، بل يشمل أيضًا تقديم العزاء الروحي، مما يعزز الأمل ويوفر الأمان في مواجهة الألم والمجهول.

تُظهر بردية SB Kopt. 4.1692[٢] تُظهر الوثيقة بوضوح الدور الروحاني والنفسي الهام الذي كانت تؤديه الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي، حيث كانت تشكل مراكز دينية واجتماعية تساعد الأفراد في مواجهة التحديات. رغم عدم تقديم الدعم المادي المباشر، تبرز الوثيقة الدعم الروحي المقدم من الرهبان. يعبر المرسل عن "ضيقة شديدة" و"حزن ليس بسيطًا" ويطلب من الرهبان أن "يعزوه" بصلواتهم، مما يعكس الإيمان بأن صلوات الرهبان كانت مصدرًا رئيسيًا للراحة النفسية وتخفيف المعاناة.

وبذلك نجد أن مساهمة الأديرة لم تقتصر على الدعم المادي فحسب، بل امتدت لتوفير دعم نفسي وروحي ساهم في تعزيز تماسك المجتمع في مواجهة الأزمات. لقد شكلت الأديرة مراكز استقرار حيوية في النسيج الاجتماعي المصري البيزنطي، مقدمة المساعدة الشاملة للمحتاجين على مختلف الأصعدة، مما جعلها عنصرًا أساسيًا في الحفاظ على توازن المجتمع ومرونته خلال فترات التحديات.

رعاية المهمشين اقتصاديًا واجتماعيًا:

شكّلت الأديرة شبكة أمان اجتماعي حيوية، تجاوزت دورها كأماكن للعبادة فقط لتصبح ملاذًا أساسيًا للفئات الضعيفة في المجتمع. في وقت كانت فيه الدولة – في أغلب الأحيان – غير قادرة على تقديم الرعاية الاجتماعية الشاملة، لعبت الأديرة دورًا محوريًا في تقديم الدعم للفقراء، المرضى، الأيتام، الأرامل، والمسافرين، وكل من هم فى حاجة للاهتمام والرعاية. فكانت الأديرة تقدم المأوى والطعام والعلاج، وتوفر بيئة آمنة للمحتاجين، مستندة إلى مواردها الكبيرة مثل الأراضي الزراعية[٣]. فقامت بدور فعال في تقديم الأعمال الخيرية لأفراد المجتمع.

في ظل هشاشة البنية القانونية والاجتماعية في مصر خلال العصر البيزنطي، بخاصة فيما يتعلّق بحماية النساء والفئات المهمشّة، تُعد وثيقة P. Cair. Masp. 1.67005[٤] نموذجًا صارخًا لحالة تعرضت لها امرأة تُدعى

(1) P. Mon. Epiph. 250

(2) SB. Kopt. 4.1692

(٣) محمد عبد الشافي محمد محمود المغربي، "رعاية المسنين في الدولة البيزنطية"، مجلة كلية الآثار، مج ٦، ٢٠١١، ص ص ١٩٠-٢٣١؛ سهير محمد مليجي، "ظاهرة معجزات القديسين الشفائية في مصر في العصر البيزنطى (٢٨٤-٦٤٢م)"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ع ١٤، ج١، ٢٠٢٣م، ص ص ١٣٣-١٨٠.

(4) P. Cair. Masp. 1.67005

صوفيا، أرملة ووالدة لطفل رضيع، وجدت نفسها ضحية للاضطهاد والابتزاز من مسؤولين محليين، دون أن تجد ملجأ قانونيًا يحميها. تعرضت للاعتقال، وسُلِبَت ممتلكاتها، واحتُجز طفلها، مما اضطرها لتوجيه التماس مباشر للسلطات العليا. وهذا يُبرز الفجوات الواسعة في شبكات الأمان الاجتماعي المحلي آنذاك. فقد كانت الدولة في تلك الحقبة غائبة فعليًا عن هموم الناس اليومية، وتركت المهمشين فريسة للفساد المحلي(١).

وبالرغم من أن صوفيا لم تُوجه تظلمها إلى دير أو مؤسسة دينية، فإن استخدامها للغة لاهوتية مثل "المحبة المسيحية" و"العناية الإلهية" يعكس وعيًا مجتمعيًا متجذرًا يرى في الخطاب المسيحي، والقائمين عليه، قوة أخلاقية قادرة على دعم الضعفاء.

فالأديرة لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل تحوّلت في الواقع البيزنطي إلى مؤسسات مجتمعية متكاملة، تحل محل الدولة في توفير المأوى، والعدالة، والرعاية للفئات غير المحمية(٢). وتجدر الإشارة إلى أن هذا الدور لم يقتصر على الجانب الخيري المادي فحسب، بل امتد ليشمل التمثيل القانوني والوساطة الاجتماعية أيضًا(٣). تستعرض العديد من البرديات القبطية واليونانية دور الأديرة في تقديم الدعم القانوني والوساطة الاجتماعية، حيث كان الرهبان يتدخلون في تسوية النزاعات والتوسط لدى السلطات نيابة عن الضعفاء(٤). وتُعد قصة صوفيا مثالًا لفهم الحاجة لدور الأديرة الديني والقانوني. كانت الأديرة جزءًا أساسيًا من شبكة الأمان الاجتماعي، خاصة في ظل غياب دور الدولة. من أبرز الأمثلة على ذلك دير الأنبا شنودة Shenoute Monastery، الذي كان يفتح أبوابه لسكان القرى المجاورة لتقديم الوجبات والرعاية المؤقتة، مما يعكس التزامًا اجتماعيًا تجاه المجتمع المحلي(٥).

إن هذا الانخراط اليومي والمنتظم مع سكان القرى المجاورة لا يُبرز فقط مسؤولية الأديرة تجاه المهمشين، بل يُظهر كيف امتدت رسالتها لتتجاوز جدرانها وتلبي احتياجات الناس الحياتية، مما يجعلها مؤسسات مجتمعية تعنى بالكرامة الإنسانية بجانب الزهد والصلاة. من بين الشخصيات الرهبانية المتميزة في مصر خلال العصر البيزنطي، يبرز الراهب سارابيون Sarapion، الذي كان مثالًا حيًا على انخراط الرهبان في الأنشطة الخيرية خارج الأديرة. فقد نظم عمليات تجارية منتظمة بين منطقة الفيوم ومدينة الإسكندرية، شملت إرسال شحنات من القمح والملابس للفقراء. لم تكن دوافعه اقتصادية بحتة، بل كانت نابعة من شعور بالواجب الديني، حيث أشار إلى غياب الفقراء في محيط الأديرة، مما دفعه لتوجيه الموارد نحو الأماكن التي تفتقر إلى الرعاية (٦).

---

(١) أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص ٣١٦.

(٢) بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص ١٩٧.

(٣) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٤) مصطفى محمود محمد محمد، "الوسيط الديني «الرهبان»، ص ص ٧٣-١٥٦.

(5) Besa, *The Life of Shenoute*, Introd., Trans. and Not. by David N. Bell, Kalamazoo. Michigan, Cistercian Publications, 1983, pp. 57-58; Sadek S., "The Daily Life in the Coptic Monasteries: An Analytical Study". *Coptic Gnostic Studies Unit Annual Academic Journal*, 15, 1, 2012, pp. 274-297.

ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص ص ١٠٤-١١٠.

(6) Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp. 183-206.

يُظهر هذا المثال مرونة العمل الرهباني وقدرته على التكيف مع المتغيرات الاجتماعية خارج حدود الدير، مما يعكس رؤية حيوية للرحمة المسيحية التي تُعنى بالاحتياجات أينما وجدت. يتجاوز هذا التفاعل الجوانب الروحانية ليشمل البُعد الإنساني والتعاطف مع الفئات المحتاجة في المجتمع. كما توضح شهادات سفر الرهبان، الذين نقلوا هذه القيم إلى مناطق بعيدة، التزامهم بتلبية احتياجات الفقراء والمحتاجين(١).

على نفس المنوال، يُعتبر الراهب أبوللو Apollo مثالًا آخر على الرهبان الذين لم تمنعهم نسكهم وتقشفهم من المشاركة الفاعلة في دعم المجتمع المحلي، بخاصة في أوقات الأزمات. عندما اجتاحت المجاعة مدينة طيبة، اتجهت الأنظار إلى جماعته الرهبانية التي كان يُعتقد أن لديها مخزونًا من الطعام يمكن أن يساعد في مواجهة الأزمة. استجابت الجماعة لهذه النداءات بتوزيع سلال من الخبز على السكان، مما يعكس استجابة عملية وفعّالة لحالة الطوارئ. هذا الموقف يُظهر أن الزهد الرهباني لم يكن مجرد انقطاع عن العالم، بل كان مرتبطًا بالإنتاجية الاقتصادية والعمل الاجتماعي، حيث تحوّلت موارد الدير إلى أدوات إنقاذ حقيقية في أوقات الشدة، مما أضاف بُعدًا إنسانيًا ملموسًا لمفهوم الفقر الاختياري والنسك(٢).

أسهم الرهبان، وفي طليعتهم الأنبا شنودة رئيس المتوحدين Shenoute the Archimandrite، بدور فعّال في خدمة المجتمع المحلي خلال العصر البيزنطي، حيث لم تقتصر حياتهم على النسك والعزلة، بل شملت أيضًا تقديم الدعم الإنساني والمادي للفئات المحتاجة. فقد اعتادوا توزيع كميات وفيرة من منتجاتهم، بخاصة الطعام والأقمشة التي كانوا ينسجونها بأنفسهم، على سكان القرى المجاورة. وكانت أبواب الدير الأبيض تفتح أسبوعيًا لاستقبال أعداد كبيرة من الفقراء، الذين كانوا يتوافدون طلبًا للمعونة بخاصة أيام الأحاد والأعياد(٣).

وبالرغم من ما عُرف به القديس شنودة من حزم وشدة في قيادته للرهبنة، فإنه كان في نظر الناس، وبخاصة في صعيد مصر، شخصية محبوبة وملاذًا روحيًا في أوقات الشدة. إذ اعتاد الأهالي اللجوء إليه، يلتمسون دعمه وصلواته حين تصيبهم المحن والكوارث. وقد اشتهر بأنه لا يردّ سائلاً، بل يمنح المحتاجين بسخاء يتجاوز ما يطلبونه وفى هذا

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٣٥-٢٣٦؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص ١٩٩؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص ص ٣١٥-٣١٦.

(١) هوستوريا موناخورم، وصف رحلة سبعة رهبان من فلسطين، ص ٢١٨-٢١٩؛ ليلى عبد الجواد اسماعيل، "القديس شنودة الاخميني الأدريبي ودوره في تاريخ مصر في العصر البيزنطي (٣٣٣ -٤٥١م)"، نشرة مركز الدراسات البردية، المجلد ٢٠، العدد ١، ٢٠٠٣م، ص ص ٩ - ٥٨.

(٢) هوستوريا موناخورم، وصف رحلة سبعة رهبان من فلسطين، ص ٢١٨، ٢١٩، ٣٩٣.

(3) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 446-447; Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp. 183-206.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٣٥-٢٣٦؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص ١٩٨؛ عزيز سوريال عطية، الكنيسة القبطية، ص ص ١-١٤؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص ص ٣١٥-٣١٦؛ ليلى عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ - ٥٨؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص ١٠١.

لأمر كثير من الأمثلة تظهر خلال هذا البحث، وهذا يمثل تجسيد حي لقيم الرحمة والعطاء المتأصلة في الروح الرهبانية[١].

كما اتّسمت الأديرة في عهده بانفتاحها على العالم المحلى، بخاصة في الأعياد والعطلات، فقد كانت الأديرة في مصر البيزنطية تستقبل الزوّار من مختلف فئات المجتمع، وتقدّم لهم أشكالًا من العون الروحاني والمادي، دون تمييز. هذا الانفتاح العملي على معاناة الناس وحاجاتهم يعكس طبيعة الرهبنة المصرية، التي لم تتقوقع خلف أسوار الصحراء، بل تفاعلت مع الواقع المحيط بها، متّخذة من قيم الرحمة والإحسان وسيلة للتواصل مع الآخر، وتخفيف آلامه[٢].

ويُعد الراهب الشهير إبراهام الفرشوطي، الذي عاش في القرن السادس، من أبرز الأمثلة على الرهبان الذين سخّروا مواردهم لخدمة الفقراء، إذ امتلك مخازن غلال كانت تُستخدم بانتظام لإطعام الجموع من المحتاجين. ويؤكد هذا النهج أيضًا ما دوّنه يوحنا كاسيان[٣]، الذي أقام سنوات طويلة في الأديرة المصرية، حيث وصف بدقة كيف أن الرهبان المصريين كانوا يحرّمون البطالة، ويعتبرون العمل اليدوي فرضًا دينيًا يكسبون به قوت يومهم، بل ويتجاوزون ذلك إلى تقديم صدقات وفيرة للفقراء، خاصة في المناطق المنكوبة التي كانت تعاني من المجاعة، وكذلك في السجون وأطراف المدن. وكان الرهبان ينظرون إلى ما ينفقونه من ثمرة أتعابهم بوصفه قربانًا روحانى مقبولًا أمام الله، الأمر الذي يُجسّد بوضوح التكامل بين البُعد الروحاني والبُعد الاجتماعي في رسالتهم الرهبانية[٤].

تُظهر وثيقة P. Mon. Epiph. 165[٥] بوضوح الدور الاجتماعي الجوهري الذي اضطلعت به الأديرة في مصر البيزنطية في رعاية الفئات المهمشة، بخاصة النساء والأسر المحتاجة. تعكس الرسالة نداءً موجَّهًا إلى شخصيات دينية مرموقة، تطلب فيه التدخل نيابة عن "بنات إبراهيم" و"بنات الرجل الفقير الذي أصبح بلا قوة"، وهي عبارات تكشف عن أوضاع اجتماعية هشة لفتيات محرومات من العائل والدعم، وتعرضن لظروف قاسية تهدد أمنهن الاجتماعي والاقتصادي. يعكس استخدام توصيفات مثل "الفقير" و"بلا قوة" – في الوثيقة – إدراكًا واضحًا لحجم التهميش الذي تعانيه هذه الفئات. ويُبرز طلب التدخل المكانة التي كانت الأديرة تحتلها بوصفها الجهات الملجأ والضامنة لهؤلاء. وتكشف الوثيقة عن بعد مؤسسي مهم في عمل الأديرة، يتمثل في مطالبة المرسِل بتوجيه رسائل

---

(1) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 446-447.
ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩- ٥٨.

(2) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 446-447.
عزيز سوريال عطية، الكنيسة القبطية، ص ص ١-١٤؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ – ٥٨؛

(٣) يوحنا كاسيان: وُلد عام ٣٦٠ م في أسرة ميسورة الحال، حيث نشأ في بيئة متدينة وكان متمكنًا من اللغتين اليونانية واللاتينية بالإضافة إلى العلوم الدينية. في مرحلة مبكرة من حياته، قرر ترك موطنه وممتلكاته ليعيش حياة الرهبنة في دير بيبت لحم. وبعدها، في عام ٣٨٠ م، انتقل إلى مصر، موطن الرهبنة الأصلي، حيث قضى حوالي عشرين عامًا في التعلم على يد رهبانها. انظر: يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ص ١٥ – ٣٠.

(٤) يوحنا كاسيان، الأنظمة، ص ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(5) P. Mon. Epiph. 165

رسمية من الأساقفة والرهبان الكبار إلى شخصية ذات سلطة (إيليا)، في مسعى واضح لاستخدام نفوذ الدير لتأمين حماية لهؤلاء المحتاجين. وهذا يعكس كيف تجاوز دور الأديرة الإطار الروحاني، لتتحول إلى فاعل اجتماعي فعّال، قادر على التدخل والتأثير في قضايا تخص مصير الأفراد، لا سيما ممن يقفون على هامش الرعاية الرسمية. بهذا، تثبت الوثيقة أن الأديرة كانت ملاذات رحيمة تُفعّل القيم المسيحية عبر ممارسات إنسانية مؤسسية تخاطب هموم المهمشين وتسعى لرفع الظلم عنهم.

كما تشير بردية P. Cair. Masp. 1.67005[١] إلى هشاشة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لفئات الأرامل والأيتام في مصر البيزنطية، وتُبرز كيف أدّت هشاشة مؤسسات العدالة الرسمية إلى تفاقم معاناتهم. تسرد الوثيقة التماسًا موجّهًا من امرأة تُدعى صوفيا، تروي فيه تجربتها المؤلمة من قهر وتعذيب، وسلب لحقوقها وحقوق طفلها على يد سلطات عسكرية ومدنية فاسدة. ما يُميز هذه البردية أن صوفيا لم تُقدّم التماسها منفردة، بل استعانت بشمّاس لصياغة طلبها، وهو ما يُشير إلى بداية انخراط رجال الدين في تمكين الفئات الضعيفة ومرافقتها داخل الفضاء القانوني. تعكس الوثيقة بوضوح الفجوة الكبيرة بين الحاجات الإنسانية والعدالة الرسمية، وتُمهّد لفهم التحوّل التاريخي الذي طرأ على دور الأديرة لاحقًا، حيث أصبحت تؤدي أدوارًا دينية وقضائية، وجسّدت ملاذًا حقيقيًا للمتضررين في وقت كانت فيه الدولة عاجزة عن الاستجابة.

أما البردية P.Herm. 17[٢] تشير إلى أحد الأدوار الاجتماعية المباشرة التي اضطلعت بها الأديرة في مصر البيزنطية، بخاصة في رعاية الأرامل. هذه الوثيقة الموجزة هي رسالة شخصية من أرملة تُدعى ليوخيس مالاموس Leoukhis Malamos إلى شخصية كنسية مرموقة تُعرف باسم الأب يوحنا Abba Ioannes، ترجوه التدخل لحمايتها من ظلمٍ واقع عليها، تمثل في فرض إقامة جنود داخل منزلها دون إرادتها. تبرز الرسالة هشاشة وضع الأرامل في تلك الفترة، حيث كانت المرأة الأرملة تُعد من أكثر الفئات عرضة للحرمان والاستغلال. ويُظهر توجّهها نحو رجل دين نافذ مدى الثقة المجتمعية بالأديرة ورجال الدين بوصفهم ملاذًا وحصنًا للفئات المستضعفة، لا سيّما في ظل غياب الحماية المدنية. تكشف هذه البردية أيضًا كيف لم تكن الأديرة تقدم المعونة المادية فقط، بل كانت تملك نفوذًا معنويًا واجتماعيًا يمكن أن يُستخدم للتدخل لدى السلطات المدنية أو العسكرية – وهو ما يُرسّخ صورتها كمؤسسات حماية ومناصرة اجتماعية في آنٍ معًا.

تُظهر كل من البرديتين السابقتين[٣] أن الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي لم تكن فقط بيوتًا للعبادة، بل تطوّرت إلى مؤسسات متكاملة لحماية الفئات الأكثر احتياجًا. في الحالتين، نلمس كيف لجأت امرأتان معوزتان إلى سلطة دينية بدلًا من السلطة المدنية، بحثًا عن حماية، وإنصاف، وعدالة. تؤكد هاتان البرديتان بما لا يدع مجالًا للشك أن رجال الدين والأديرة في مصر البيزنطية قد تجاوزوا أدوارهم التقليدية، ليتحولوا إلى وكلاء عدالة اجتماعية.

(1) P. Cair. Masp. 1.67005
(2) P. Herm. 17
(3) P. Cair. Masp. 1.67005; P. Herm. 17

فقد اضطلعوا بوظائف قانونية ومجتمعية تمثّلت في مساعدة الفئات المهمّشة على تحرير التماساتهم، والتوسّط لدى السلطات لرفع الظلم عنهم. وتحوّلت الأديرة تدريجيًا إلى شبكات أمان بديلة، استجابت لاحتياجات الأرامل والفقراء حين عجزت الدولة عن حماية حقوقهم. وبذلك تحولت الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي من مجرد مراكز للعبادة المنعزلة إلى مؤسسات مجتمعية فاعلة، مُنخرطة بشكل عملي في رعاية الناس بخاصة خلال أوقات الأزمات.

تكشف البردية اليونانية P. Lond. VI 1919[1]، التي تعود إلى الفترة ما بين عامي ٣٣٠ و٣٤٠ ميلادي، عن جانب إنساني بالغ الأهمية في نشاط الأديرة بمصر البيزنطية، يتمثل في دعم ورعاية الفئات الاجتماعية المهمشة، وعلى رأسها الطبقات الكادحة مثل الصيادين. فعلى الرغم من أن الرسالة تأخذ طابعًا شخصيًا بين المرسل بينِس Benece والراهب آبا باينوتيوس Paphnutius، فإنها تتضمن إشارات واضحة إلى ما قدمه الراهب ومجتمعه الرهباني من أعمال محبة استحقت الإشادة والاعتراف من قِبل فقراء المجتمع، مثل الصيادَين بسايس Psais وهاربوكراس Harpocrates. يشير النص إلى أن هذه الأعمال الخيرية "أُعلنت" و"أُضيفت إلى المحبات الأخرى"، مما يدل على تكرار هذه المبادرات واتساع أثرها. إن إشراك فئة كالصيادين – الذين غالبًا ما كانوا من أكثر الفئات تهميشًا – في سياق الامتنان للدير، يعكس إدراكًا شعبيًا حقيقيًا لدور الأديرة كمؤسسات ليست مقتصرة على الروحانيات، بل فاعلة في تلبية احتياجات الناس اليومية. وبذلك تؤكد الوثيقة على أن الأديرة لم تكن فقط مراكز دينية، بل كانت أيضًا شبكات دعم اجتماعي تُمارس فيها الرحمة من خلال العطاء العملي والمساندة المباشرة لمن هم في أمسّ الحاجة.

ولم يقتصر دور الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي على تلبية الاحتياجات اليومية للفقراء والمهمشين، بل امتد ليشمل الاستجابة الفعّالة في أوقات الخطر والأزمات. فقد وظّفت العديد من الأديرة مبانيها ومساحاتها الواسعة كمراكز إيواء مؤقتة للأسر المتضررة من الكوارث الطبيعية، كفيضانات النيل أو موجات المجاعة. كما قدّمت شكلًا من أشكال الرعاية الطبية الأولية والدعم النفسي لمن لجأوا إليها، خاصة من الفئات الأكثر احتياجًا اجتماعيًا. وقد مكّنها موقعها الجغرافي القريب من التجمعات السكنية من الاستجابة السريعة لهذه التحديات، لتصبح فاعلًا حقيقيًا في منظومة الإغاثة المجتمعية. هذا التفاعل الوثيق بين الأديرة والواقع الاجتماعي المحيط لم يكن وليد صدفة، بل ارتبط برسالتها الروحانية المؤسَّسة على العطاء والإحسان، ما أكسبها بعدًا عمليًا وإنسانيًا تجاوز الوظيفة التعبدية، وجعل منها مؤسسات موثوقة لدى الناس، يُلجأ إليها في أوقات الشدة بوصفها ملاذًا آمنًا ومصدرًا للدعم.

تكشف وثيقة P. Cair. Masp. 1.67005[2] عن الوضع بالغ الهشاشة الذي كانت تعيشه الأرامل والأيتام في مصر البيزنطية، وتُظهر كيف أن غياب العدالة المؤسسية أتاح للسلطات العسكرية والمدنية ارتكاب انتهاكات جسيمة بحق الفئات الأضعف. تسرد صوفيا في هذه الوثيقة التماسًا مؤلمًا يوثق ما تعرضت له من ظلم وتعذيب، وما لحق

(1) P. Lond. VI 1919
(2) P. Cair. Masp. 1.67005

بها وبطفلها من اعتداء ومصادرة للحقوق، في ظل صمت رسمي وتواطؤ من الأجهزة القائمة. ويُعد تدخل شماس فرعي في تحرير هذا الالتماس دلالة على الدور المجتمعي غير الرسمي الذي أدّاه بعض رجال الدين، والذين استخدموا مكانتهم لمناصرة الضعفاء وتمكينهم من إيصال صوتهم ضمن سياقات يغيب فيها القانون أو يُستخدم ضدهم. تُظهر هذه الحالة أن الكنيسة ومؤسساتها، وفي القلب منها الأديرة، بدأت تشكل بدائل مجتمعية ضرورية لاحتضان المهمشين والتصدي للظلم الذي يتعرضون له، خاصة في البيئات الريفية أو الهامشية حيث تغيب الرقابة ويضعف نفوذ الدولة. وبذلك، تبرز أهمية الأديرة ليس فقط كمراكز روحانية، بل كقوة توازنية ضمن المجتمع، تضطلع بوظائف دينية وقانونية تُسهم في حماية الفئات المعرضة للخطر، وتسدّ الفراغ المؤسسي في بيئة مضطربة سياسيًا واجتماعيًا.

وقد أولت الأديرة اهتمامًا واضحًا برعاية المسجونين. وقد تجسّدت هذه الرعاية في بعدين أساسيين :الشفاعة لإطلاق سراح من اعتُقل ظلمًا أو دون سند قانوني، وتقديم الدعم المادي والمعنوي للمسجونين، بما يشمل الطعام والملبس، مع الحرص على احترام كرامتهم. امتد هذا النشاط إلى الحياة الرهبانية، بخاصة في الأديرة الكبرى. فقد أشار المؤرخ بلاديوس إلى أن رهبان باخوميوس Bacchomius كانوا يعتنون بإعاشة المسجونين، مما يعكس التزامهم الفعلي بالرعاية الاجتماعية. كما ذكر في بعض المصادر أن رهبان نيتريا كانوا يرسلون سفنًا محمّلة بالقمح إلى مدينة الإسكندرية لتوزيعها على السجناء والمحتاجين، مما يدل على تنظيم جيد للعمل الخيري داخل الرهبانية[١].
تُظهر هذه الجهود أن الأديرة، من خلال دورها الكهنوتي والرهباني، كانت عنصرًا حيويًا في تخفيف قسوة نظام العدالة البيزنطي، حيث عملت على ترسيخ قيم الرحمة والعدالة من خلال ممارسات عملية. ومع مرور الوقت، أصبحت الأديرة جزءًا أساسيًا من إعادة التوازن المجتمعي، مستفيدة من مواردها وتبرعات المؤمنين لحماية كرامة الإنسان في المدن والقرى، في السجون والأديرة على حد سواء.

كذلك في سياق التحديات التي عرفها المجتمع المصري خلال الحقبة البيزنطية، برزت الأديرة كمؤسسات حيوية لرعاية الفئات الأشد احتياجًا، وفي مقدّمتها الأطفال الأيتام والقصر. لم يقتصر هذا الدور على الجوانب الإغاثية أو الإيوائية، بل اتسم ببنية إدارية وقانونية واضحة، تعكس تطوّر وظيفة الأديرة الاجتماعية في تلك المرحلة .تشير وثائق البردي إلى أن العديد من الأطفال الذين فقدوا ذويهم أو فُقدوا في ظروف الحروب والأزمات الاقتصادية، كانوا يجدون في الأديرة مأوى دائمًا[٢]. كان هؤلاء يُسجّلون بأسمائهم ضمن دفاتر الدير، ويحصلون على الغذاء والملبس والتعليم الأولي، سواء في التراتيل أو في الكتابة والقراءة. هذه الرعاية المتكاملة لم تكن عفوية، بل نُظّمت وفق تقاليد رهبانية تؤكد على المسؤولية الجماعية في حفظ كرامة الإنسان منذ طفولته.

وإلى جانب هذا الإطار التربوي والمعيشي، لعبت الأديرة، بخاصة الكبيرة منها، دورًا قانونيًا بالغ الأهمية في حماية مصالح القُصّر. إذ كانت تتولى الوصاية الرسمية على الأطفال في حال عدم وجود أولياء، وتدير ممتلكاتهم وتتصرف

---

(١) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٥؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية، ص ٩٢.
(2) P. Cair. Masp. 2.67151; CPR. 25.17; JJP. 47.56_14

بها بما يخدم مصلحتهم حتى بلوغهم السن القانونية. هذا ما توضّحه بجلاء الوثيقة P. Cair. Masp. 2.67151[١]، والتي تُعد من بين الشهادات النادرة والمباشرة على هذا النمط من الرعاية. ففي هذه الوثيقة، يوصي فلافيوس فويبامون Flavius Phoibammo، وهو نجل كبير الأطباء أويبرابيوس Euprepius من مدينة أنتينوبوليس، بأن يُسند أمر رعاية أبنائه القُصّر وإدارة ممتلكاتهم إلى الراهب أبا بيسا، رئيس دير أبا يرميا .يطالب الأب – عبر نص واضح ومحدد – أن يتولى هذا الراهب الوصاية القانونية على أولاده "حتى يبلغوا السن القانونية"، ما يعكس الثقة التي كان يوليها المجتمع للمؤسسات الرهبانية في حفظ حقوق الأطفال. تبرز هذه الوثيقة مكانة الأديرة كمؤسسات قانونية واجتماعية ذات صفة شبه رسمية، تتعامل مع مسائل الأحوال الشخصية بإطار مؤسسي يتّسق مع النظام القضائي المعمول به آنذاك، ويكمّله. وهي تُجسّد، بعمق، الأبعاد الإنسانية والروحانية للرهبنة، التي لم تكن محصورة في العبادة، بل انخرطت في حماية مستقبل الأفراد الضعفاء عبر عمل مؤسسي فاعل.

نجدة الأسرى وضحايا الديون:

في ظل الأوضاع السياسية والعسكرية المتقلّبة التي شهدتها مصر خلال العصر البيزنطي (٢٨٤–٦٤١م)، والتي اتّسمت بتواتر الغارات، والاضطرابات الحدودية، وتقلّب السلطات المدنية والعسكرية، وتصاعد نشاط قطاع الطرق وتجار الرقيق، برزت الأديرة كمؤسسات لعبت دورًا اجتماعيًا ملموسًا في التخفيف من آثار تلك التحديات، بخاصة في مسألة نجدة الأسرى. فمع تزايد حالات السبي نتيجة لغارات البربر، والحروب البيزنطية–الفارسية، والنزاعات مع القبائل المجاورة، أو هجمات البدو التي استهدفت سبي السكان أو مقايضتهم بفدية، إضافة إلى عمليات الأسر المتبادل جراء النزاعات الداخلية الدينية أو بين القرى، أصبح فقدان الحرية تهديدًا حقيقيًا لكثير من العائلات، بخاصة في المناطق الريفية والمهمشة، وجعل من تدخل الأديرة ضرورة مجتمعية ملحّة[٢].

وتشير بعض المصادر إلى أن الأديرة، بما كان يتوافر لها من صدقات وتبرعات وموارد مالية خاصة بها، كانت تسهم أحيانًا في دعم الأسرى أو ذويهم من خلال المساعدة في دفع فدية أو التوسّط لاستردادهم، ما جعلها طرفًا مساعدًا في هذا الجانب الإنساني، وإن ظل دورها محدودًا وغير منظم بصورة رسمية[٣]. وجدير بالذكر أن القانون – في تلك الفترة – قد أجاز للمؤسسات الدينية استخدام مواردها المالية، بل وحتى أثاثها ومقتنياتها، في سداد فدى الأسرى، ومنحها كذلك حق التصرف في المواريث المهجورة شريطة توجيهها لهذا الغرض النبيل[٤]. وهو ما يعكس إدراك الدولة لأهمية تلك المؤسسات كشريك اجتماعي فعّال في مواجهة الأزمات الإنسانية.

---

(1) P. Cair. Masp. 2.67151

(٢) سمير وديد جرجس، هجمات البربر على الأديرة " دير وادي النطرون "، القاهرة، ٢٠٠٢م. ص ص ٥٧-٥٨.

(٣) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٨٩؛ ثاؤفيلس الشنودي، الدير الأبيض (سيرته، رؤساء الدير ورهبانه عبر العصور، تاريخ الدير الأبيض)، مراجعة الأنبا متاؤس، مطابع النوبار، العبور، ٢٠٢٠م، ص ١٣٣.

4 Krüger P., *Codex. Justinianus*, Corpus Juris Civilis, 2, 10th ed., Berlin, 1929, 9, 3, 7; Pharr C., *The Theodosian Code and Novels, and the Sirmondian Constitutions*. Princeton, Princeton University Press. 1952, 1, 4, 22.

وبالمثل، كانت الديون تمثّل إحدى أبرز صور المعاناة اليومية للفقراء في مصر البيزنطية، حيث كان العجز عن السداد يعرّض المدينين لفقدان حريتهم أو أبنائهم، أو الوقوع في نُظُم الرقّ والسُّخرة، فضلًا عن مصادرة ممتلكاتهم المحدودة. وفي هذا السياق، تبنّت بعض الأديرة مواقف داعمة للفئات الأكثر احتياجًا، من خلال تقديم مساعدات مالية مباشرة أو غير مباشرة، سواء عبر الصدقات أو توفير الدعم في صورة غلال أو مؤن، بهدف التخفيف من وطأة الديون. ومن خلال هذا الدور، لم تكن الأديرة مجرّد مراكز للتنسّك والصلاة، بل تحوّلت تدريجيًا إلى ملاذ للفقراء، تلبي بعض احتياجاتهم، وتسهم في منع تفكّكهم الاجتماعي والاقتصادي في أوقات الأزمات(١).

تُبرز هذه الممارسات كيف تحوّلت الأديرة إلى قنوات بديلة للمساندة الاجتماعية، بخاصة في وقت كانت فيه السلطات الرسمية غير قادرة على توفير الحماية اللازمة. بهذا المعنى، أصبحت الأديرة بمثابة خطوط دفاع أخلاقي واقتصادي عن الفئات المهددة، خاصة الأسرى والمدينين، مما يرسّخ دورها كمؤسسات رحيمة فاعلة في صون الكرامة الإنسانية.

لعب الدير الأبيض دورًا بارزًا في حماية الفئات الضعيفة داخل المجتمع القبطي، خاصة أولئك الذين عانوا من أزمات مالية تهدد معيشتهم أو حياة أسرهم. عاش الأنبا شنودة في فترة شهدت تغيرات سياسية واقتصادية كبيرة في مصر خلال العصر البيزنطي، حيث تأثر الشعب بشدة بالظلم والقسوة الناتجة عن حكم الولاة البيزنطيين(٢). لم يقتصر دور الأنبا شنودة على الاستماع لمعاناة شعبه، بل كان له دور ريادي في توعيتهم بحقوقهم وحثهم على المطالبة بها. كان يندد بقوة بفساد الحكام البيزنطيين. وقد عبر عن ذلك بقوله: "سلاطين تلك الأيام يجمعون أموالاً كثيرة ظلماً... الويل لكل الرؤساء ومقدمي الشعوب في كل المدن وجميع القرى"(٣).

وقد اتّسمت مساعداته بالفاعلية المباشرة، فلم تقتصر على تقديم الدعم المادي فحسب، بل شملت التدخل لإنقاذ من سقطوا تحت وطأة الديون أو وقعوا فريسة للفقر المدقع، في تجسيد عملي لفكر رهباني يربط بين المسؤولية الروحانية والاجتماعية. وتُظهر هذه الممارسات مدى التزام شنودة بمبدأ العدالة المجتمعية، وسعيه لجعل الدير مؤسسة راعية للكرامة الإنسانية، وملاذًا حقيقيًا للمحتاجين(٤). تُظهر إحدى الروايات التي نقلها الأنبا ويصا(٥) Wissa، تلميذ الأنبا شنودة، مدى التزام الأخير بحماية ضحايا الديون، بخاصة حين يكون الأطفال مهددين(٦). فقد واجه أحد الآباء

---

(١) هويدا محمد احمد، الفلاح المصري في العصر البيزنطي، ص ص ٣٠٣٥-٣٠٧٨.

(٢) ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ - ٥٨.

(3) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, p. 344.

عزيز سوريال عطية، الكنيسة القبطية، ص ص ١-١٤؛ محمد عبد الشافي محمد محمود المغربي، المواطنة والخلاص المسيحي في مصر البيزنطية، ص ص ١١٧-١٤٧.

(٤) عزيز سوريال عطية، الكنيسة القبطية، ص ص ١-١٤.

(٥) انتقل ويصا من مدينة أبصاي (المنشأة حاليًا، إحدى مراكز محافظة سوهاج) ليلتحق بالدير الأبيض. هناك، تتلمذ على يد الأستاذ القديس شنودة، ثم تولى رئاسة الدير بعد وفاة معلمه. ترك الأنبا ويصا إرثًا روحيًا عظيمًا، فقد كتب سيرة معلمه الأنبا شنودة، بالإضافة إلى العديد من الرسائل والأقوال الموجهة إلى الرهبان والراهبات. كما قدم نصائح روحية نافعة لرجال الدين وكبار رجال الدولة في إقليمه. انظر:
ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ - ٥٨.

(6) P. Oxy. 9. 1206; P. Oxy. 16. 1895.

مأزقًا حرجًا بعد عجزه عن سداد دين بلغ ١٤٠ دينارًا[١]، ما دفع الدائن إلى احتجاز ولديه وتهديده بإرسالهما إلى "الكورة"، في إشارة إلى العمل القسري. حينما لجأ الأب إلى الأنبا شنودة طلبًا للنجدة، لم يتردد الأخير في التدخل، فسدد الدين كاملًا، مما أدى إلى إطلاق سراح الطفلين وإنقاذ الأسرة من التفكك والمعاناة[٢]. يسجل الأنبا ويصا حادثة أخرى حيث كان في مدينة أخميم أرخون يمتلك دينًا على رجل ما. عجز هذا الرجل عن السداد، فقام الأرخون باعتقاله وسجنه وتعذيبه، مطالبًا إياه بغرامة. أرسل الرجل رسالة إلى الأنبا شنودة عبر أحد خدام المساجين، مستنجدًا به وراجيًا وساطته لدى الأرخون للعفو عنه وإطلاق سراحه. استجاب القديس لرجائه وأرسل رسالة إلى الأرخون يقول فيها: "أطلق سبيل هذا الرجل ليغفر لك الرب يوم شدتك". على الفور، استجاب الأرخون لأمر الأنبا، وأطلق سراح الرجل[٣]. تُظهر هذه الحادثة كيف شارك الأنبا شنودة بشكل فعلي في دعم النسيج الاجتماعي، من خلال حماية الأسر الفقيرة من الظلم، ومنع تفككها بسبب الديون. لقد كانت الأديرة، من خلال هذه الأفعال، جزءًا فاعلًا من المجتمع، تؤدي دورها في تخفيف المعاناة ومساندة الضعفاء، إلى جانب دورها الديني والروحاني.

تُعد البرديتان P. Lond. VI 1916 و P. Lond. VI 1915[٤] من بين أبرز الشواهد التي توثّق الدور العملي والإنساني الذي اضطلعت به الأديرة في مصر البيزنطية في التصدي لأشكال التهميش المرتبطة بالديون، ولا سيما تلك التي أدّت إلى استعباد الأطفال. في البردية الأولى P.Lond. VI 1916[٥]، تَرِد مناشدة عاجلة وُجّهت إلى الرهبان بقيادة الكاهن بايينوتيوس Paiynouthios، للتدخل في قضية تتعلق بشخص يُدعى بامونثيوس Pamounthios، تعرّض لحجز أطفاله وبيعهم كعبيد على يد دائنين قساة. وقد حثّت الرسالة الرهبان على تفعيل "عاطفة الأبوة" و"المحبة الفطرية" لديهم، وجمع التبرعات من جيرانهم في سبيل تحرير الأطفال، في صورة تعبّر عن مدى تعويل المجتمع على الرهبنة كقوة إنقاذ أخلاقية ومادية في آنٍ واحد. أما البردية الثانية P. Lond. VI 1915[٦]، فتُقدّم مشهدًا أكثر تفصيلًا لمأساة مماثلة، من خلال رسالة استغاثة كتبها إيريهووس Eriehoos إلى الراهب بافنوتيوس Paienoutios، يصف فيها محنة بامونثيس Pamonthes، الرجل الفقير الذي استُنزف تمامًا بسبب الجبايات القسرية. فبعد أن باع كل ما يملك، لم يتمكن من الوفاء بديونه، فأسر الدائنون أبناءه واستعبدوهم. تصف الرسالة أولئك الدائنين بأنهم "عديمو الرحمة"، وتناشد الراهب ليس فقط بوصفه زاهدًا متنسكًا، بل كقوة روحانية وأخلاقية قادرة على تعبئة المجتمع وإنقاذ هؤلاء الأطفال. يتكامل المشهدان في هاتين البرديتين ليُبرزا كيف تحوّلت الأديرة إلى فاعل مجتمعي مباشر، يتصدّى لأشكال العنف الاقتصادي والاجتماعي من خلال شبكة تضامن متجذّرة

هويدا سيد علي محمد، مظاهر العنف في مصر البيزنطية، ص ص ٥٨٥-٦٣٦.

(١) الدينار: هي عملة رومانية قديمة، استُخدمت في مصر البيزنطية. كانت تُسك من الفضة، وغالبًا ما كانت مجرد وحدة تسعير لا تحصيل، حيث يتم الدفع بعملات أخرى. انظر: رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص ٣٣٦.

(2) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 446-447.

(3) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 382-383.

(4) P. Lond. VI 1916; P. Lond. VI 1915

(5) P. Lond. VI 1916

(6) P. Lond. VI 1915

في القيم المسيحية. لم تكتفِ الرهبنة هنا بالتعليم والتأمل، بل اتخذت موقفًا ميدانيًا واضحًا، يسعى لتفكيك منظومات الظلم، والدفاع العملي عن كرامة الإنسان في وجه الاستغلال والعبودية.

إلى جانب ذلك، شكّلت الديون أحد أبرز الأسباب التي دفعت الأفراد إلى الوقوع في الاستعباد، حيث اضطُر بعضهم، تحت ضغط العجز المالي، إلى بيع أنفسهم أو أطفالهم للدائنين، لتسديد ما عليهم من التزامات. وقد عكست هذه الظاهرة هشاشة البنية الاقتصادية، وافتقار شرائح كبيرة من السكان إلى الحماية القانونية والاجتماعية[١].

في مواجهة هذا الواقع القاسي، في القرن الخامس الميلادي، برز الأنبا شنودة رئيس المتوحدين كأحد رموز التدخل الرهباني المباشر في نجدة الأسرى. ففي أعقاب هجمات البليميين Blemmyes[٢]، على مناطق من صعيد مصر، تحرّك دير الأنبا شنودة، المعروف باسم الدير الأبيض قرب سوهاج، ليؤدي دورًا محوريًا، حيث قدّم مبلغًا ضخمًا قُدّر بنحو ٤٠ ألف ميريديس للمساهمة في تحرير الأسرى، فضلًا عن توفير الملابس وتكاليف إعادتهم إلى ديارهم. وتُظهر التقديرات أن تحرير الأسير الواحد كلّف ما يقارب ١٠ صوليدي[٣]، أي أن الدير تحمّل ما يعادل ٤٠٠٠ صوليدي لتحرير مائة شخص، في مشهد يجسّد كرم الرهبنة وروح التضامن مع المتضررين[٤].

يُبرز هذا الحدث مدى فاعلية الأديرة القبطية في حشد مواردها وتنظيم طاقاتها، عبر شبكة مترابطة من الأساقفة والرهبان، لتأدية دور موحد في مواجهة مظاهر الاحتلال والاضطهاد، والدفاع عن الكرامة الإنسانية. لم يكن التحرّك مجرد عمل خيري عابر، بل شكّل انعكاسًا لتوجّه مؤسسي واعٍ، يرى في إنقاذ الإنسان جزءًا من رسالته الروحانية والاجتماعية على السواء.

---

(1) P. Oxy. 9.1206; P. Oxy. 16.1895.

هويدا سيد علي محمد، مظاهر العنف في مصر البيزنطية، ص ص ٥٨٥-٦٣٦.

(٢) عاشت قبائل البليميون جنوب مصر، مجاورة للنوبيين، وشكلت جزءًا من مملكة مروي النوبية. عُرفت هذه القبائل بهجماتها المتكررة على جنوب مصر، خاصة إقليم طيبة، خلال العصرين الروماني والبيزنطي حتى القرن السادس الميلادي. في عام ٢٥٠ م، شنوا هجومًا واسع النطاق على القوات الرومانية في جنوب مصر، ونجحوا في السيطرة على معظم إقليم طيبة. لاحقًا، في عام ٢٧٠ م، تحالف البليميون مع الملكة زنوبيا في حربها ضد الرومان في مصر، لكن الرومان تمكنوا من هزيمتهم وطردهم إلى ما وراء أسوان. في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، ابتكرت الإمبراطورية نظام "المعاهدة"، الذي قضى بأن تتولى القبائل حماية الحدود وحماية أنفسها مقابل الإعفاء من الضرائب. تطورت هذه العلاقة لاحقًا لتصبح الإمبراطورية تدفع لهم أموالًا سنوية، ثم شكلت هذه القبائل فرقًا عسكرية عُرفت باسم "فرق المعاهدين" وانضمت إلى الجيش الإمبراطوري. رغم هذا، استمر البليميون في شن الهجمات والغارات على صعيد مصر. ردًا على ذلك، عملت الإمبراطورية على تقوية نفوذ حاكم طيبة، ومنحته السلطتين المدنية والعسكرية لتمكينه من صدهم. في عهد الإمبراطور جستنيان، تعرض البليميون لهزيمة كبيرة على يد النوبيين عام ٥٣٥ م، تبعتها حادثة إغلاق معبد فيلة. هذه الأحداث دفعتهم إلى الهجرة نحو الصحراء الشرقية، مما أدى إلى ضعف نفوذهم بشكل كبير. انظر:
فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٨٩؛ مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م، ص ص ٢٨ - ٤٢؛ محمد عبد النعيم محمد عبده محاضرات في تاريخ مصر وحضارتها فى الحقبة البيزنطية - القبطية (٢٨٤ - ٦٤١م)، القاهرة، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٩م، ص ٢٢١.

(٣) الصوليدي: وحدة النقد القياسية منذ مستهل القرن الرابع الميلادي، وكان يسك من الذهب. وكان يشترى به عشرة أردب من القمح، وهو يساوي ٢٤ قيراط في عهد الإمبراطور جستنيان. انظر: رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص ٣٣٦.

(4) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 446-447.

يتّضح من خلال الوثائق والممارسات المتعددة أن الأديرة لم تتعامل مع مسألة افتداء الأسرى بوصفها مسألة ظرفية أو خيرية، بل نظرت إليها كامتداد جوهري لرسالتها الروحانية والإنسانية. فقد سخّرت الأديرة مواردها المالية، إلى جانب مواردها المعنوية المتمثّلة في شبكاتها الرهبانية، للتدخّل في لحظات المحنة، سواء لإنقاذ الأبرياء من قبضة الغزاة والدائنين، أو لرفع المعاناة عن العائلات التي فرّقتها المآسي والأسر.

كذلك اضطلع دير الأنبا شنودة بدور إنساني فريد في التصدي لإحدى أكبر الأزمات الاجتماعية التي شهدها صعيد مصر. فبعد أن تعرّضت مدينة أبصاي لهجوم عنيف من قبل قبائل البلميين، أُجبر نحو عشرين ألف لاجئ على الفرار، ليجدوا الملاذ في محيط الدير. وعند علمه بالمأساة، حرّك الأنبا شنودة رهبان ديره وحثّهم على بذل كل ما في وسعهم لخدمة المتضررين، ثم توجّه بنفسه إلى زعيم القبائل المهاجمة، قائلاً كلمته الشهيرة: "أعطني الناس واحتفظ بالغنائم"[١]. وقد أثمرت وساطته بإطلاق سراح الأسرى، الذين نُقلوا إلى الدير، حيث نُظّمت لهم إقامة جماعية مؤقتة .قسّم الرهبان أنفسهم إلى مجموعات لخدمتهم، كما استأجر الدير سبعة أطباء لتقديم الرعاية الصحية، مع تخصيص عناية خاصة لكبار السن والأطفال. ويعكس هذا التدخّل مدى تكامل الوظيفة الرهبانية بين الجوانب الروحانية والاجتماعية، وقدرة الأديرة على الاستجابة الفعلية للأزمات الكبرى[٢].

تحمّل دير الأنبا شنودة (الدير الأبيض) كامل أعباء الضيافة خلال فترة إقامة اللاجئين، مقدّمًا لهم رعاية شاملة امتدّت لتشمل الغذاء، والملبس، والعلاج. وتُشير المصادر إلى أن ما أُنفِق على الطعام وحده بلغ نحو ٢٥ ألف دراخما[٣] أسبوعيًا، واشتمل على أصناف متنوّعة من البقوليات والخضروات والتوابل، إلى جانب العدس والزيت المستخدم يوميًا في الطهي. كما كان الخبز يُعدّ يوميًا في أفران الدير، ويُوزّع باستخدام وحدة تُعرف بـ"الشوب"، بالرغم من عدم توفّر تحديد دقيق لقيمتها[٤]. لم تقتصر الرعاية على الطعام فقط، بل تم تزويد اللاجئين بما يلزم من أحذية

---

(1) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 396-397; Emmel S., "Care for the Sick in Shenoute's Monasteries", in: *Christianity and Monasticism in Upper Egypt*, vol. 1: Akhmim and Sohag, eds. Gawdat Gabra and Hany N. Takla, The American University in Cairo Press, 2007, pp. 21-30, pp. 21-30; Sadek S., The Daily Life in the Coptic Monasteries, pp. 274-297.

(2) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 351-352; Lopez A.G., *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty: Rural Patronage, Religious Conflict, and Monasticism in Late Antique Egypt*. Transformation of the Classical Heritage Volume 50. Berkeley, University of California Press, 2013, p.109.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٣٨٧-٣٨٨؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص ٤٣٤؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ – ٥٨؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ٢٠٦؛ ثاؤفيلس الشنودي، الدير الأبيض، ص ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) الدراخمة: كانت وحدة العملة الرئيسية في مصر، وقد سكت في عصر البطالمة من الفضة، وقد ظهرت أيضاً الدراخمة البرونزية، وقد استخدمة الدراخمة أيضاً كوحدة ميزان تساوي ٣.٥ جرام. انظر: رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص ٣٣٥.

(4) Belanger-Sarrazin, Sophie. "Medicine, Magic, Miracle: Monks and Visitors: Epigraphy and the Construction of Spiritual Space at the Monastery of Apa Apollo". Paper presented at the *REMUS Seminar*: *Religion, Materiality, and Urbanity in Egypt and the Near East*, 2023

وملابس، كما جرى تخصيص وجبات غذائية نوعية للمرضى، شملت الخبز، والشعير، والخل، والخمر، والبيض، والجبن، والزبيب، والفاكهة، في مشهد يُظهر الحسّ الإنساني والدقة في الاستجابة للحالات الصحية[١]. ويوثّق الأنبا ويصا أن استهلاك القمح خلال هذه الفترة تجاوز ٨٥٠٠ أردب[٢]، في حين بلغ استهلاك الزيت ٢٠٠ قنطار، ما يعكس حجم الموارد الضخم الذي تمكن الدير من حشده وتوظيفه خلال هذه الأزمة. وتُبرِز هذه المعطيات الكيفية التي تحوّل بها الدير إلى مؤسسة إغاثية كاملة الأركان، تجاوزت وظيفته الدينية التقليدية، واستجابت بفعالية إلى احتياجات عشرات الآلاف من البشر، في نموذج متكامل لإدارة الأزمات داخل الإطار الرهباني[٣].

لم تقتصر عناية دير الأنبا شنودة (الدير الأبيض) على استضافة اللاجئين من البشر فقط، بل امتدّت لتشمل رعاية مواشيهم وحيواناتهم، من جمال وأبقار وأغنام وماعز، بل وحتى كلابهم، إلى جانب متاعهم الشخصي وأمتعتهم المحمولة. وقد تمّت هذه الرعاية ضمن إطار تنظيمي محكم داخل الدير، يعكس درجة عالية من الكفاءة في الإدارة الرهبانية. يكشف هذا الجانب عن اتساع البنية الاقتصادية والاجتماعية للدير، وقدرته على التعامل مع أزمة إنسانية بهذا الحجم دون تعطيل لمهامه التعبدية أو اختلال في انتظام حياته الداخلية[٤].

وقد أظهرت الوثائق التنظيمية للدير أن فترة إقامة اللاجئين استمرّت لنحو ثلاثة أشهر، وتكشف سجلات هذه المرحلة عن تفاصيل دقيقة حول الإنفاق المالي والغذائي الذي خصصه الدير لإعالة اللاجئين والمسجونين على حد سواء. تم توثيق هذا الإنفاق في جدول خاص، شمل أنواع المؤن، وعدد المستفيدين، والتكاليف الإجمالية للرعاية اليومية[٥]. لم يكتفِ الرهبان بهذا القدر من العون، بل كانوا يزوّدون الزوّار بما يحتاجون إليه من مؤن وأطعمة متنوعة لرحلة عودتهم إلى بلادهم بعد انتهاء فترة إقامتهم في الدير[٦].

---

[١] هاني مهدي راتب زحير، الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية الشرقية، ص ص ١١-٩٤.

[٢] الأردب: هو وحدة قياس حجمية، استُخدمت في مصر للمحاصيل والبضائع الجافة كالقمح والحبوب. كانت قيمته متغيرة، لكنه كان يُقدر بنحو ٣٨ لترًا (١.٣٤ قدم مكعب). انظر: رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي، ص ٣٣٥.

[3] Emmel S., Care for the Sick in Shenoute's Monasteries, pp. 21-30; Lopez A.G., *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty*, p.109.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٣٨٧ - ٣٨٨؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص ٤٣٤؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ – ٥٨؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ٢٠٦؛ ثاؤفيلس الشنودي، الدير الأبيض، ص ص ١٣٣- ١٣٤.

[4] Lopez A.G., *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty*, p.110

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٨٨–٢٨٩؛ نبيه كامل داود، وسامح شفيق، وعادل فخري، تاريخ المسيحية والرهبنة في ابروشيتي سوهاج وأخميم، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٢٠٠؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ – ٥٨؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ٢٠٦.

[٥] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٨٩؛ ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص ٤٣٥؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ – ٥٨؛ ثاؤفيلس الشنودي، الدير الأبيض، ص ١٣٤.

[٦] هاني مهدي راتب زحير، الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية الشرقية، ص ص ١١-٩٤.

ويبدو من مجمل الشهادات أن الدير الأبيض لم يقدّم فقط نموذجًا للضيافة، بل عمل على تأمين متطلبات الحياة الكاملة للاجئين خلال فترة إقامتهم، من مأكل وملبس وعلاج وسكن، ثم ودّعهم بعد انقضاء الأزمة وهم يحملون زادًا يكفيهم في طريق عودتهم. وقد عبّر اللاجئون عن امتنانهم لهذا العطاء، الذي لمسوا فيه روح المحبة والتكريس، ووجدوا في الرهبان صورة حية للتضامن الإنساني في لحظات المحن[١]. وما يلفت النظر أن كل هذه الجهود، بالرغم من اتساعها وتنوعها، فإنها لم تُحدث خللًا في نظام الدير، مما يدل على امتلاكه بنية اقتصادية وتنظيمية متينة، قادرة على مواجهة التحديات. لقد ظهر الدير في هذا السياق كمؤسسة متكاملة، تجمع بين العمل الروحاني والإغاثي والاجتماعي، ما يرسّخ مكانة الأديرة كقوى فاعلة في النسيج المجتمعي المصري، لا سيّما في أوقات الأزمات[٢].

لم يكن دور الأديرة في رعاية الضعفاء والمقهورين مقصورًا على تحرير الأسرى فحسب، بل امتد ليشمل فئة أخرى من أكثر الفئات احتياجًا في المجتمع، وهم العبيد. فقد شكّل تحرير العبيد بُعدًا آخر من أبعاد العمل الخيري الرهباني، الذي يعبّر عن التحول التدريجي في نظرة المسيحية البيزنطية إلى مسألة العبودية. باعتباره تعبيرًا عن الالتزام العميق بكرامة الإنسان ورفضًا لأشكال الاستعباد القائمة آنذاك. وقد أُعطي هذا التوجه بعدًا قانونيًا حين أصدر الإمبراطور جستنيان مراسيم تُمكّن المؤسسات الدينية، ومن ضمنها الأديرة، من ممارسة حق العتق رسميًا، الأمر الذي سمح بتفعيل دور الرهبان في تخليص الأرقّاء من قيودهم ضمن مظلة شرعية، تجمع بين القانون والإحسان[٣].

وتُظهر وثيقة P.Koeln.3.157[٤] صك الإعتاق الصادر عام ٥٨٩م عن الراهب فيكتور St Victor من دير أبا مكاريوس the Abbey of Abba Makarios ، مما يعكس بوضوح دور الأديرة في تغيير اجتماعي تدريجي. يربط الراهب قرار إعتاق عبده ميناس بالرحمة الإلهية والخلاص، مما يعكس الوعي الرهباني بأن الأعمال الخيرية تُعد وسيلة للخلاص. لم يكن هذا الفعل مجرد تعبير عن رحمة فردية، بل جزءًا من مسار منظم تهدف الكنيسة من خلاله إلى التخفيف من التفاوت الاجتماعي وتقديم نموذج قائم على الحرية والمساواة. الوثيقة ذات طابع قانوني وديني، إذ يُحاط صك الإعتاق بصياغة رسمية تُقرُّ بقوة ملزمة أمام السلطات المدنية والدينية. يظهر من هذا أن الأديرة لم تقتصر على ممارسة الإعتاق كفضيلة فردية، بل تم تقنينه داخل إطار مؤسسي، مما يُسهم في تخفيف وطأة العبودية. هذا التوجه يعكس دور الأديرة في الدفاع عن المستضعفين وتجسيد قيم الرحمة والعدل في المجتمع.

---

(١) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٨٩؛ ثاؤفيلس الشنودي، الدير الأبيض، ص ١٣٤.

(٢) ايريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ص ٤٣٥؛ ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩-٥٨.

(٣) جوستنيان، مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى، ترجمة عبد العزيز فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، الكتاب الأول، الباب الخامس، الفصل الأول.

(4) P. Koeln. 3.157

رعاية المرضى:

شكّلت رعاية المرضى في الجماعات الرهبانية نموذجًا مبكرًا لما أصبحت عليه الرعاية الصحية في المجتمع الأوسع لاحقًا. ففي مصر البيزنطية، اهتم شيوخ الأديرة بصحة الرهبان، فكُلِّف بعض الإخوة بخدمة المرضى، خاصة المتوحدين، وتوفير احتياجاتهم اليومية من طعام ورعاية، حتى ولو أُعفوا مؤقتًا من التزاماتهم النسكية بسبب المرض. وتُسجّل المصادر مواقف إنسانية مؤثرة، من أبرزها ما قام به الأنبا مكاريوس الكبير حين سافر ليُحضِر بنفسه خبزًا وعسلًا لأحد الرهبان المرضى، استجابةً لرغبته، في مشهد يجسد عمق روح الخدمة والتكافل داخل الدير[١].

لم تقتصر رعاية الأديرة الصحية على الرهبان فقط، بل امتدّت إلى عامة الناس، بخاصة في المناطق النائية. حيث كان العديد من الأفراد يتوجهون إلى الأديرة طلبًا للشفاء من الأمراض المستعصية أو التي كانوا يعتبرونها ميؤوسًا منها، إذ كان يُنظر إلى الرهبان كوسطاء للشفاء والمعجزات. كما يظهر في كتاب "تاريخ الرهبان" الذي وضعه سبعة من الرهبان الذين زاروا الصحارى المصرية في أواخر القرن الرابع الميلادي، حيث تم توثيق العديد من القصص عن معجزات الرهبان، مثل تلك المتعلقة بالقديس يوحنا John الذي اشتهر بقدرته على شفاء المصابين بالشلل والنقرس[٢].

وفي المناطق الريفية التي كانت تفتقر إلى خدمات طبية رسمية. تولّت أديرة كبرى، مثل دير الأنبا شنودة وديرالأنبا باخوميوس، تقديم العلاج للفقراء والمحتاجين، حيث أنشأت مرافق للإيواء وتقديم الغذاء والدواء. وقد ساعد هذا الامتداد في ترسيخ صورة الأديرة كمراكز رحمة متكاملة، تؤمّن الدعم الجسدي إلى جانب العزاء الروحاني[٣].

وقد أنشأت بعض الأديرة، مثل دير الأنبا شنودة، أماكن مخصصة لاستقبال المرضى والمحتاجين، تُعرف باسم Xenodocheia، وهي أشبه بمستوصفات أو بيوت ضيافة تُقدَّم فيها الرعاية الصحية والطعام والمأوى[٤].

تشير البردية DCLP 64466 [٥] إلى جانب مهم من جوانب الحياة اليومية في مصر البيزنطية، ويتمثل في انتشار التمائم السحرية واستخدامها لأغراض الشفاء. تُظهر هذه الوثيقة، وهي جزء من تميمة سحرية تهدف إلى علاج

---

(1) Yassin K., Soliman N., Zekry N., "Monastic Hospitals in Byzantine Egypt: Pachomius and Shenoute's Hospitals as Coenobitic models". *Journal of Tourism, Hotels and Heritage*, 1(1), 2020, pp. 55-69.

(٢) هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر وصف الرحلة التي قام بها سبعة رهبان من فلسطين لبراري مصر في القرن (٤م)، ترجمة: بولا البراموسى طبعة خاصة للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، الناشر: مشروع الكنوز القبطية، ٢٠٠٨م، ص ٥٥؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص ٣٤٦؛ عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الاسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، مج ٥، ٢٠٠٧م، ص ص ٣٣- ٩٧؛ أسامة فايز استقلال أحمد، الطب وطرق التدواي في مصر البيزنطية ٢٨٤ - ٦٤٢م، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس، ٢٠١٥م، ص ص ٢٤٣-٢٤٦.

(3) Yassin K., Soliman N., Zekry N., Monastic Hospitals in Byzantine Egypt, pp. 55-69.

(4) Sadek S., The Daily Life in the Coptic Monasteries, pp. 274-297.

فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٣٥–٢٣٦؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص ص ١٩٨-٢٠٣؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص ص ٣١٥-٣١٦.

(5) DCLP 64466

شخص يُدعى سرابيون Serapion من الحمى، كيف كانت بعض شرائح المجتمع تمزج بين عناصر من اليهودية والمسيحية والوثنية في ممارساتها السحرية.

كانت هذه الممارسات تعبيرًا عن محاولات الناس لمواجهة المرض في ظل ضعف المعرفة الطبية، ولكنها اصطدمت برؤية الكنيسة التي رفضتها ووصفتها بأنها شعوذة مخالفة للإيمان المسيحي. قد شددت تعاليم الكنيسة على أن الشفاء لا يتحقق إلا عبر النعمة الإلهية، من خلال الصلاة، والأسرار الكنسية، وشفاعة القديسين .وهو ما عبّرت عنه بردية أخرى، مثل DCLP 65198[١]، التي تربط سر التناول بالشفاء الروحاني والجسدي.

وفي هذا السياق، لعبت الأديرة دورًا محوريًا في مقاومة انتشار التمائم والممارسات السحرية. فقد مثّلت هذه المؤسسات الدينية حصنًا للثقافة الأرثوذكسية، تعمل على تعليم الرعية وتحذيرهم من مخاطر السحر، وتوفير بدائل روحانية قائمة على الإيمان، من خلال الصلوات اليومية، ومسحة المرضى، وزيارة رفات القديسين .كما أصدرت المجامع الكنسية والآباء الروحانيون تحذيرات صريحة من هذه الظواهر، مؤكدين أن اللجوء إليها يُضعف الثقة في عناية الله، ويُعرض مرتكبيها للعقوبات الكنسية.

وعلى سبيل المثال، واجه شنودة تلك المعتقدات الخاطئة بشدة، منتقدًا مَن يلجأون للسحرة والعرافين. وحذرهم من اللعنات التي ستصيبهم في الدنيا، وهددهم بالعذاب الذي سيلاقونه يوم القيامة[٢].

عكست الوثائق كيف كانت بعض فئات المجتمع، خاصة في أوقات الأزمات، تلجأ إلى ممارسات سحرية للشفاء، لكن الأديرة قدمت بديلاً حقيقيًا من خلال رؤيتها الروحانية المتكاملة. لم تقتصر الأديرة على الدعم المادي، بل شملت الأبعاد النفسية والروحانية، حيث قدمت بيئة تحترم كرامة الأرامل والمهمشين وتمنحهم مكانة في المجتمع. تحوّلت الأديرة في مصر البيزنطية إلى مراكز حاضنة تتجاوز دورها التعبدي التقليدي لتقدم رعاية اجتماعية ومادية، مما جعلها جزءًا محوريًا من النسيج الاجتماعي في تلك الفترة.

وفي أديرة الأنبا شنودة، كان يُميز بين المرض الجسدي والروحاني ويُشدد على العناية بالمرضى الحقيقيين. تم تخصيص رهبان متخصصين في الطب والعلاج لكل دير، وفي أديرة الراهبات، كانت بعض الراهبات مكلفات بالعناية بأخواتهن مع فرض قيود صارمة على الاختلاط بين الرجال والنساء[٣].

تُقدّم بردية DCLP 62077 [٤] نموذجًا مميزًا لفهم الشفاء من منظور ديني وشعبي. تحتوي الوثيقة على مزيج من الوصفات الطبية، ونصوص لاهوتية، ونداءات موجهة إلى يسوع والملائكة من أجل الشفاء. يُشير الجزء الثاني من الوثيقة إلى أن الشفاء يتم من خلال "زيت الرحمة" و"المرّ"، في سياق إيمان بالثالوث. وهو ما يتوافق مع ممارسات

---

(1) DCLP 65198

(٢) هاني مهدي راتب زحير، الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية الشرقية، ص ص ١١-٩٤.

(٣) نفسه.

(4) DCLP 62077

الأديرة التي اعتمدت على الصلوات، وزيت المسحة المقدسة، كوسائل روحانية فعّالة للشفاء. كما جمعت الأديرة هذه الممارسات مع الوصفات العشبية، لتُكوّن نموذجًا علاجيًا متكاملًا يجمع بين الطب الشعبي والدعاء.

تُسلّط بردية DCLP 64466[١] الضوء على انتشار استخدام التمائم السحرية في المجتمع البيزنطي، إذ تتضمن صلوات وأسماء ملائكية تُستخدم لطلب الشفاء من الحمى. ولكن في مقابل هذه الممارسات، اتخذت الأديرة موقفًا واضحًا برفض استخدام السحر والتمائم، واعتبرته مظهرًا من مظاهر الضعف في الإيمان، إن لم يكن تعاملًا مع قوى شريرة[٢]. كانت الأديرة تُقدّم بديلًا روحيًا، قوامه الصلاة والأسرار المقدسة، مع التأكيد على أن الشفاء يأتي من الله، وليس من الرموز السحرية، حتى إن حملت طابعًا دينيًا ظاهريًا.

تُظهر هذه البردية الأديرة أنها لم تكن مجرد أماكن دينية، بل مراكز متكاملة تقدم الرعاية الصحية والنفسية، حيث لعبت دورًا أساسيًا في دعم الفئات الضعيفة من المجتمع. أسهمت خبراتها التنظيمية والطبية في تشكيل مفاهيم الإيواء والعلاج، خاصة في ظل ضعف الهياكل الحكومية، مما جعل الرهبنة قوة مجتمعية قادرة على توفير الحماية والرعاية في أوقات الأزمات. ما يميز هذا الدور هو شموليته، حيث لم يقتصر على الدعم المادي فقط، بل شمل الرعاية النفسية والروحانية. وجد العديد من الأرامل والمرضى في الأديرة ملاذًا يحفظ كرامتهم ويوفر لهم العزاء، مما رسّخ مكانتها كمؤسسات اجتماعية تسهم في شفاء الجسد والروح معًا.

الأديرة كوسطاء اجتماعيين ومحكمين في النزاعات:

قامت الأديرة بخاصة في الأقاليم الريفية، بأدوار تجاوزت الوظيفة الدينية البحتة لتصبح مراكز تدخل فعالة في الحياة الاجتماعية، ووسيطًا مقبولًا لحل النزاعات وتخفيف التوترات داخل المجتمع. وفي ظل ضعف الحضور المباشر للسلطة المركزية وتعقيدات النظام القضائي الرسمي، تحوّل الرهبان ورؤساء الأديرة إلى مرجعيات محلية تُستدعى للفصل في النزاعات، سواء داخل العائلات أو بين أفراد المجتمع المحلي[٣]. وقد ساعد ما تمتعوا به من هيبة روحانية ومكانة أخلاقية على ترسيخ هذا الدور، فشكّلوا بذلك سلطة بديلة قائمة على الثقة والاحترام، أسهمت في حفظ التماسك المجتمعي.

وتكشف بردية P.Grenf. 2.93[٤] عن بُعد جوهري في هذا السياق، يتمثل في لجوء أحد الأعيان، ساراباموں، إلى الأسقف شنودة للتدخل في نزاع عائلي معقّد يخص ابن أخيه، ويطلب منه حمل الكاهن فويامون على تحقيق العدالة. وما يلفت النظر أن ممثل السلطة المدنية قد فوّض بدوره المسؤولية إلى ساراباموں، الذي ارتأى نقلها إلى الأسقف، ما يعكس شبكة ثلاثية من السلطات تتداخل فيها الدينية والمدنية والاجتماعية. ويكشف هذا عن أن الأديرة

(1) DCLP 64466

(2) Besa , *The Life of Shenoute*, pp. 83-84.
هاني مهدي راتب زحير، الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية، ص ص ١١-٩٤.

(3) P. Grenf. 2.93; P. Mon. Epiph.257; P. Mon. Epiph.182

(4) P. Grenf. 2.93

كانت تؤدي وظيفة ضبط اجتماعي تتجاوز الطقوس الدينية، معتمدة على مكانة الرهبان في المجتمع بوصفهم ضامنين للعدالة الأخلاقية.

ويُعزز هذا التصور ما ورد في بردية Stud. Pal. 3(2).5.506[١]، التي توثق انخراط رجال الدين – مثل الكاهنين بيبوس وفيل – في عمليات إدارية كتوثيق مدفوعات القمح. هذه التفاصيل اليومية، بالرغم من بساطتها، فإنها تكشف عن مكانة الأديرة بوصفها مؤسسات تنظيمية تُدير الشأن المحلي وتوثق الحقوق، بخاصة في المجتمعات الزراعية التي تفتقر إلى الهياكل البيروقراطية المستقرة. إن اندماج الرهبان في هذا النمط من النشاط يعكس ثقة المجتمع في مؤسساتهم، واعتمادًا متزايدًا عليها في تنظيم الحياة المدنية.

تُعد الوثيقة SB 20 14241[٢] دليلاً هامًا على الدور المحوري للشخصيات الدينية ذات النفوذ، كالأساقفة، في فض النزاعات وحل مشاكل أفراد المجتمع في مصر خلال العصر البيزنطي. فقد كان يُنظر إلى هؤلاء الأساقفة، بحكم مكانتهم، كحماة للعدالة ووسطاء فعالين، خصوصًا عندما كانت القنوات الإدارية الرسمية بطيئة أو غير فعالة. تُظهر هذه الوثيقة شكوى مفصلة من مزارع تعرض للاضطهاد ومطالبته بإيجار غير مستحق على أرض استأجرها. ولجأ الكاتب إلى هذه الشخصية الدينية بعد أن قدم شكواه بالفعل إلى المسؤولين الماليين (البراكتوتيس) والمساعد والسيد العام، مما يشير إلى أن الشخصية الدينية كانت بمثابة الملاذ الأخير أو السلطة العليا التي يمكن اللجوء إليها لضمان تحقيق العدالة.

تكشف وثيقة P.Grenf. 2.93[٣] عن بُعد إنساني واجتماعي جوهري في دور المؤسسة الرهبانية بمصر البيزنطية، يتمثّل في حماية الفئات الضعيفة التي عجزت عن الدفاع عن حقوقها ضمن الأطر الرسمية. تُظهر الوثيقة التماسًا من شخصية تُدعى سارابامون إلى الأسقف شنودة، يطلب فيه تدخله لإنصاف قريب شاب تعرض لظلم واضح من كاهن محلي، مستغلًا سلطته. يعكس هذا التفاعل ضعف الفرد أمام السلطة الدينية أو الإدارية، ويفتح المجال لفهم دور الأسقف كوسيط إنصاف يُعوّل عليه المجتمع في تسوية النزاعات وإحقاق العدالة.

تُبرز هذه الحالة كيف تحوّلت الأديرة وممثلوها من مؤسسات روحانية إلى جهات تدخل أخلاقي واجتماعي، تؤدي دور "ضمير المجتمع" في مواجهة الانتهاكات أو التعسف، لا سيما عندما تغيب أو تتقاعس السلطة المدنية[٤]. لقد مثلت هذه التدخلات واحدة من أبرز آليات الدفاع عن الضعفاء، وجعلت من الأديرة فاعلًا محوريًا في تعزيز العدالة الاجتماعية ضمن بيئة شهدت كثيرًا من التوترات الطبقية والدينية.

تكشف بردية P. Cair. Masp. 1.67003[٥] عن أحد الأوجه المهمة لدور الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي، حيث لم تقتصر وظيفتها على النشاط الديني أو الروحاني، بل امتد تأثيرها إلى المجالين الاجتماعي

(1) Stud. Pal. 3(2).5.506
(2) SB. 20 14241
(3) P.Grenf. 2.93
(٤) مصطفى محمود محمد محمد محمد، "الوسيط الديني «الرهبان»"، ص ص ٧٣-١٥٦.
(5) P. Cair. Masp. 1.67003

والقانوني. تتضمن الوثيقة التماسًا تقدّم به رهبان دير جبلي، يطلبون فيه الحماية من أحد المسؤولين الإمبراطوريين الذي حاول الاستيلاء على قطعة أرض كانت قد تبرّعت بها أرملة لصالح الدير.

تُبرز هذه الحالة بوضوح مدى اندماج الأديرة في محيطها الريفي، ليس بوصفها مؤسسات منعزلة، بل كأطراف فاعلة تدير ممتلكاتها وتسعى للحفاظ على حقوقها من خلال اللجوء إلى الوسائل القانونية المتاحة. ويشير هذا السلوك إلى أن الرهبان، على الرغم من انخراطهم في نمط حياة زاهد، كانوا يدركون أهمية القنوات الرسمية للعدالة، ويمتلكون القدرة على التعامل مع الإجراءات القانونية، وهو ما يعكس وعيًا مؤسسيًا بحقوق الملكية وآليات الدفاع عنها[١]. كما يمكن الاستدلال من هذه الوثيقة على البُعد الاجتماعي العميق الذي شكّلته الأديرة في وجدان المجتمعات المحلية. فالتبرع الذي قدّمته الأرملة لم يكن مجرّد فعل إحساني، بل يمثّل نوعًا من التواصل الرمزي مع الدير، بوصفه فضاءً روحيًا واجتماعيًا يحفظ ذكرى العائلات، ويشكّل نقطة تفاعل وجداني مستمر بين الأحياء والراحلين. ومن هذا المنظور، تؤكد الوثيقة أن الأديرة أسهمت في ترسيخ شكل من أشكال التوازن المحلي، من خلال دورها كمؤسسات حامية ومتصلة بنسيج المجتمع على المستويين القانوني والعاطفي.

هذه الأمثلة جميعًا تُظهر كيف أسهمت الأديرة في تعزيز السلم الأهلي من خلال أدوات التحكيم، والوساطة، والرعاية الاجتماعية الموجهة للفئات المهمشة. وقد تراوحت هذه الأدوار بين التدخل المباشر في الخلافات العائلية، ورعاية الضعفاء من الأطفال، والمشاركة في توثيق الحقوق المدنية، وتقديم العون للطبقات الكادحة. وبهذا، ترسّخت الأديرة كمؤسسات متكاملة، تمارس نوعًا من الإدارة المجتمعية يتجاوز المهام التعبدية، ويؤسس لنموذج موازٍ من التنظيم المحلي القائم على الأخلاق المسيحية والثقة الشعبية.

رعاية الغرباء والحجاج والفقراء:

ارتبطت الأديرة المصرية منذ بداياتها، بقيم الرحمة والعطاء، وكان استقبال الغرباء جزءًا لا يتجزأ من الروح الرهبانية الأولى. يُروى أن الراهب أمون Amoun، أحد مؤسسي الحياة الرهبانية في نيتريا، خصّص صومعة لتخزين الطعام للزائرين[٢]. كما اعتبر الأنبا أنطونيوس Antonius ضيافة الغرباء من أهم الأعمال التي ترضي الله، مقتديًا بالنموذج الإبراهيمي في كرم الضيافة[٣].

لم يقتصر دور الرهبان على تقديم المأوى الروحاني للزائرين، بل حرصوا أيضًا على توفير الطعام ووسائل الراحة الجسدية، تأكيدًا على التكامل بين الروحاني والإنساني في تقاليد الضيافة الرهبانية. كذلك حرص الرهبان على أن يكونوا دائمًا في حالة استعداد لاستقبال الزائرين، حتى في أبسط مظاهر حياتهم اليومية. فقد كانوا يحتفظون بجزء من طعامهم الخاص تحسّبًا لقدوم أي غريب يطرق أبوابهم. ويُروى أن الأنبا موسى الأسود أوصى رهبانه بأن يُبقوا نصف

(1) Belanger-Sarrazin, Sophie. Medicine, Magic, Miracle: Monks and Visitors, 2023

(٢) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ٣٣؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص ٣١٢.

(٣) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ٥٣؛ الانبا شنودة رئيس المتوحدين، ص ٢٩٢.

حصّة الخبز اليومية بعد الساعة التاسعة، تحسّبًا لوصول زائر محتاج. كما أوصى بأن يُعدّ للزائر حساء من الفول، ويُقدَّم له بعض الخضروات البسيطة، بخاصة أوراق الكرنب، تعبيرًا عن حسن الضيافة رغم بساطة الإمكانيات[١].

لم تقتصر الضيافة على الجوانب المعيشية، بل مثّلت في الفكر المسيحي فضيلة روحانية عميقة. فقد رأى مار إسحق السرياني Isaac the Syrian فيها شرطًا للفوز بالحياة الأبدية، واعتبرها الأنبا يوحنا ذهبي الفم John Chrysostom (٣٩٨-٤٠٤م)[٢] أعظم من إقامة الموتى، إذ إنها تعبّر عن الإيمان الحي وتفتح أبواب السماء[٣].

تحوّلت الأديرة إلى فضاءات مفتوحة للمحتاجين والمسافرين، وبحسب وصف المؤرخ قسطنطينوس Constantelos، فقد مثّلت الأديرة واحات في الصحراء تؤمّن الراحة والطمأنينة للمسافرين في العصور الوسطى[٤]. وتشير مصادر رهبانية إلى أن الرهبان كانوا يفتحون أبوابهم للغرباء، ويقدّمون لهم الدعم الروحاني والمادي، ما عكس اندماجهم العملي في خدمة المجتمع[٥].

مع تزايد أعداد الزائرين، تطوّرت البنية الداخلية للأديرة لتشمل بيوتًا مخصصة للضيافة، كما في نيتريا، حيث أُنشئ بيت ضيافة بجوار الكنيسة، سُمح فيه للضيف بالإقامة دون تحديد لمدة زمنية، وقد جُهز بأبسط وسائل الراحة والطبابة[٦]. كما أُسندت مسؤولية إدارة الضيافة إلى "الأيكونوموس"، الذي كان يتولّى الإشراف على استقبال الزوار، وتعريفهم بتقاليد الدير[٧].

شهدت مناطق مثل كيليا[٨] والإسقيط[١] تأسيس بيوت ضيافة متكاملة. أنشأ الأنبا إسحاق، الذي خلف الأنبا مكاريوس السكندري، بيتًا كبيرًا لاستقبال الغرباء وتقديم المساعدة للمرضى بين عامي ٢٩٥ و٤٠٠م. وقد أُرفق بالبيت

---

[١] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ٧٦.

[٢] وُلد يوحنا ذهبي الفم في أنطاكية بين عامي ٣٤٥ و ٣٤٧م لعائلة مسيحية بارزة. بعد إتمام دراساته، كرّس حياته للدين، واتجه نحو الرهبنة، حيث أمضى وقته في الصوم والدراسة الروحية. في عام ٣٩٨م، عُين يوحنا بطريركًا على القسطنطينية، واشتهر بلقب "ذهبي الفم" نظراً لفصاحته الاستثنائية. أدت انتقاداته للفساد إلى نفيه عدة مرات، حتى وافته المنية في المنفى عام ٤٠٧م. ترك وراءه إرثًا روحانيًا وأدبيًا غنيًا، ولا يزال تأثيره عميقًا في الفكر المسيحي، ويُعد من أبرز آباء الكنيسة الشرقية. انظر:

Mayer W., *The Homilies of St. John Chrysostom: Provenance: Reshaping the Foundations*. Pontificio Istituto Orientale, Rome, 2005.

[٣] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـ ٣، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٥١؛ الانبا شنودة رئيس المتوحدين، ص ٢٩٢. تادرس يعقوب ملطي، الخط الاجتماعي، ص ٣١٥.

[4] Constantelos, Demetrios J., *Byzantine Philanthropy and Social Welfare*, New Brunswick, New Jersey, Rutgers University Press, 1968, p. 140, 202.

[٥] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ١٧٠؛ الانبا شنودة رئيس المتوحدين، ص ٢٩٢.

[٦] فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ٧٦.

[7] Belanger-Sarrazin, Sophie. Medicine, Magic, Miracle: Monks and Visitors, 2023.

ليلي عبد الجواد اسماعيل، القديس شنودة الاخميني، ص ص ٩ – ٥٨؛ ثاؤفيلس الشنودي، الدير الأبيض، ص ص ١٣٤-١٣٥.

[٨] كيليا: هي منطقة صحروايه تقع جنوب نيتريا بحوالي خمسة عشر ميلاً في الصحراء الغربية المصرية عرفت باسم القلالي لانتشار صوامع الرهبان بها، وتقع على الطريق بين "نيتريا" وصحراء "شيهيت". وقد لعبت هذه المنطقة دورًا محوريًا في تطور تقاليد الرهبنة. انظر: بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص ٤٤٧.

مخزن للمؤونة، ما يعكس تطوّر الجوانب التنظيمية والإدارية داخل الدير[٢]. أما في الإسقيط، فقد حفَر الأنبا مكاريوس نفقًا تحت قلايته هربًا من زحمة الزوار، مما يُظهر الإقبال الكبير على الأديرة[٣].

تؤكّد روايات الحجاج والزائرين لرهبان نيتريا وأوكسيرنخوس كرم الاستقبال، حيث كان الرهبان يغسلون أرجل الزائرين، ويقدّمون لهم الطعام والراحة. وتُظهر هذه الممارسات تواضعًا عميقًا وتجسيدًا للإيمان من خلال خدمة الضيوف[٤]. كما كان الرهبان يحتفظون بجزء من طعامهم اليومي تحسّبًا لقدوم الغرباء، كما أوصى الأنبا موسى الأسود St. Moses the Black [٥]. كذلك كان يُقدَّم للزوار كأس صغير من النبيذ كتحية رمزية، ضمن تقاليد معتدلة تحترم روح الزهد وتُعلي من كرامة الضيف[٦].

في أوقات المجاعات والأزمات، لعبت الأديرة دورًا إنسانيًا بالغ الأهمية، حيث وفّرت الطعام للفقراء. فمثلاً: أولي دير بانوبوليس (أخميم)، اهتمام خاص برعاية الفقراء، حيث كانوا يُستقبلون ويُطعَمون في الدير، لا سيما في أوقات الأزمات والأوبئة والمجاعات التي كانت تضرب البلاد. ففي أوقات انخفاض منسوب النيل وندرة المحاصيل، حيث يعاني الناس من الجوع، كانت الأديرة ملاذهم الأول. يهرع الجميع إليها بحثًا عن الطعام والعون، ويعودون وقد غمرتهم كرم الرهبان. يروي الأنبا ويصا أنه في إحدى سنوات القحط والغلاء، توافد أهل أخميم وأبصاي إلى الدير طالبين الخبز والطعام. فأمر الأنبا الأنبا شنودة الأنبا ويصا وأخًا آخر قائلاً: "امضيا مع هذا الأخ، واجمعا الخبز، وفرقوه على الناس." وعندما ذهبا إلى مخزن الخبز، وجداه ممتلئًا، فأكل الجميع وشبعوا. ولذلك، أُطلق على المكان اسم "كنز البركة" [٧] يروي الأنبا ويصا أيضًا أنه في إحدى السنوات التي انتشرت فيها الأمراض والأوبئة بكثرة، أمر الأنبا شنودة بفتح أبواب الدير للجميع. لم يقتصر الأمر على توفير العلاج والدواء فحسب، بل شمل أيضًا تقديم الطعام والشراب للمرضى والمحتاجين[٨]. مما يؤكد أن الضيافة في الرهبنة المصرية لم تكن موجهة فقط للزائرين من أبناء النخبة أو المؤمنين، بل شملت أيضًا الطبقات الأكثر ضعفًا وحاجة في المجتمع[٩].

---

(١) الإسقيط: هو الاسم التاريخي لمنطقة وادي النطرون التي اشتهرت بكونها مركزًا رئيسيًا للرهبنة المسيحية في القرون الأولى. انظر: منير شكري، الرهبنة القبطية وآبائها، ص ٣٤١.

(٢) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٤) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ٧٦.

(٥) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ٧٦؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص ١٤٤.

(6) Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp. 183-206.
فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٣، ص ٢٧٣؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص ١١٤.

(7) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 351 -352.

(8) Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi*, pp. 409.

(9) Darlene L.B.H., Monks Baking Bread and Salting Fish, pp. 183-206.
فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ٢، ص ص ٢٣٥-٢٣٦؛ بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، ص ١٩٨؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص ص ٣١٥-٣١٦.

تشير إحدى البرديات العائدة إلى القرن السادس الميلادي إلى وجود بيت للضيافة تابع لأحد أديرة الإسكندرية، هو دير أبوديوس Evodorios، حيث خصّص هذا البيت لإيواء اللاجئين والعجزة من كبار السن .وقد ورد في الوثيقة أن الدير كان مرتبطًا أيضًا باسم أحد ملاك الأراضي في منطقة أفروديتو، ما يعكس شبكة واسعة من العلاقات المجتمعية، تشمل الرعاية لفئات متعددة من الزوّار، والمسنين، والفقراء، والعابرين. ويُفهم من ذلك أن الرهبنة لم تكتفِ بتقديم الملاذ الروحاني، بل تبنّت مسؤوليات اجتماعية فعلية، كان من أبرزها إنشاء مرافق مخصصة للإيواء والرعاية، داخل الأديرة أو في محيطها المباشر، وهو ما يندرج ضمن منظومة التكافل الرهباني التي سعت إلى حماية الفئات الأكثر احتياجًا.

الموارد الاقتصادية للأديرة استدامة العمل الخيري:

لم يكن العمل الخيري للأديرة مجرد أعمال فردية عشوائية، بل كان مؤسسيًا ومنظمًا. ولا يمكن فهم الأدوار الاجتماعية الواسعة التي اضطلعت بها الأديرة بمعزل عن الأساس الاقتصادي القوي الذي اعتمدت عليه هذه المؤسسات. فقد شكّل الاستقرار المالي حجر الزاوية في قدرة الأديرة على تلبية احتياجات المجتمع، بخاصة المهمشين من الفقراء، والمرضى، والأرامل، وكبار السن. فقد ساعد امتلاك الأديرة لمصادر تمويل متنوعة، مثل الأراضي الزراعية المنتجة، والمشاغل الحرفية، والتبرعات السخية من المحسنين، على توفير قاعدة مالية قوية مكّنتها من تقديم الرعاية للفقراء والمرضى والمسنين بشكل فعّال[١]. هذا الاستقرار الاقتصادي لم يكن مجرد عامل مساعد، بل كان شرطًا أساسيًا لاستمرار الأديرة في أداء أدوارها الاجتماعية، إذ لولا هذه الموارد لظلّت قدرتها محدودة لا تتجاوز المساعدات المؤقتة. وبفضل هذا الدعم المستمر، كان من النادر العثور على محتاجين يعيشون بالقرب من الأديرة، نظراً لما كانت توفره من موارد وإعانات مستمرة للمجتمع[٢]. كذلك ساهم الاستقرار المالي في تعزيز البناء المؤسسي للأديرة، ومنحها موثوقية كبيرة في نظر السكان المحليين. فقد أصبح يُنظر إلى الدير على أنه مؤسسة مستقرة قادرة على الاستمرار، الأمر الذي زاد من اعتماد الناس عليه، وأكسبه مكانة خاصة كمصدر دعم ومساعدة يمكن الركون إليه في أوقات الأزمات والشدائد.

تعتبر الهبات والتبرعات أحد المصادر الأساسية التي ساعدت في تحقيق استقلالية الأديرة في مصر، وشكّلت جزءًا كبيرًا من ممتلكاتها. تلقت الأديرة تبرعات متنوعة شملت الأراضي والمنازل والأموال، وكان وراء هذه التبرعات دوافع دينية واجتماعية. سعى المتبرعون لخلاص أرواحهم والتقرب إلى الله، كما كان ضمان الدعاء من الرهبان دافعًا

---

(1) Wipszycka E., "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", *The Journal of Juristic Papyrology*, vol. xli, 2011, pp. 159-263.

إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. تعريب بولا البراموسى، أبناء الأنبا موسى الأسود، ج ٢، ط ١، ١٩٨٩م، ص ٦٣؛ خيري أبو العزايم فرجاني، الدور الوطني الكنيسة المصرية، ص ٦٣.

(٢) هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص ٢٥؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص ص ٩١- ٩٢.

قويًا، حيث كان يُدفن المتبرعون في مقابر الرهبان ويتم ذكر أسمائهم في صلواتهم. كانت التبرعات أيضًا عملًا من أعمال الصدقة للفقراء، أو شكرًا على نعمة خاصة أو شفاء معجزي. في المجمل، مكّنت هذه التبرعات الأديرة من الاستمرار في أنشطتها المتنوعة [١].

فقد حرص الأباطرة وكبار المسؤولين على تقديم هبات سخية، كما قام عامة المصريين بترك جزء من وصاياهم لصالح الكنائس، مما ضمن استمرار تدفق الموارد حتى خلال الأزمات الاقتصادية. وقد تنوعت أشكال الهبات بين نقدية وعينية، حيث شملت القمح، والشعير، والزيوت، والنبيذ، والملابس، وحتى الأراضي الزراعية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الهبة المقدمة من السيدة تاومستي Thaumesti لدير الأنبا شنودة St. Shenouda Monastery المعروف بالدير الأبيض The White Monastery، والتي قامت لاحقاً بإعادة شرائها. وقد ساعدت هذه التبرعات في تعزيز الاكتفاء الذاتي للأديرة، مما مكّنها من أداء دورها الديني والاجتماعي بكفاءة واستمرارية[٢].

تنوّعت الهبات التي تلقتها الأديرة في أشكال متعددة، حيث شملت الإعانات المالية السنوية، والهبات النقدية التي وصلت في بعض الأحيان إلى ألفي جنيه من الذهب، بالإضافة إلى الأملاك المنقولة والأراضي الزراعية. وتُعد هذه التبرعات من العوامل الأساسية التي ساهمت في دعم الاستقلال المالي للأديرة المصرية في العصر البيزنطى، مما مكّنها من الاستمرار في تقديم المساعدات للفقراء وتأمين احتياجات الرهبان والزوار [٣] .

لقد تسابق المسيحيون منذ انتشار المسيحية في دعم الأديرة، حيث تنوعت هذه الهبات بين الأموال والتحف وحتى الإرث الشخصي. سجلت العديد من الأمثلة لأفراد وهبوا ممتلكاتهم بالكامل لخدمة الأديرة. من أبرز هذه الأمثلة زيارة ميلانيا Melania للقديس بمبوا Pambo في صحراء الإسقيط، حيث قدمت له هدية عبارة عن صندوق فضي يحتوي على ثلاثمائة جنيه من الفضة، وتوسلت إليه أن يقبل جزءًا منها، لكنه رفض وطلب من تلميذه توزيعها على الأديرة التي تعاني من الفقر الشديد في ليبيا والجزر، معتبرًا أن الأديرة المصرية أكثر خصوبة وثراءً[٤]. كذلك عذراء مريضة من تسالونيكي Thessaloniki، التي تركت كيسًا ممتلئًا بالذهب للقديس مكاريوس، وكذلك تاجر من الإسكندرية الذي قرر التبرع بجميع ممتلكاته لصالح الرهبان والفقراء[٥]. ومن بين الموارد الأخرى التي ساهمت في

---

(1) Wipszycka E., Resources and economic activities, pp. 159-263.
زبيدة محمد عطا الله، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٠.

(٢) هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص ٢٥؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص ص ٩١ – ٩٢.

(3) Bagnall, R. S., *Egypt in Late Antiquity*, Princeton University Press, 1993, p. 78.

(4) Ward, B., *The Sayings of the Desert Fathers: The Alphabetical Collection*, Kalamazoo, A.R. Mowbrey, 1975, p. 14; Bolman, Elizabeth S., *The Red Monastery Church: Beauty and Asceticism in Upper Egypt*. New Haven: Yale University Press, 2016.
بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص ص ١١٠-١١٢؛ نعيمة محمد إبراهيم، "صفحات من تاريخ الضيافة والإحسان في في الأديرة المصرية في العصر البيزنطي ودورها في التنمية السياحية"، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، جامعة الفيوم، مج ١٦، ع. ٣، ٢٠٢٢م، ص ص ٢٠١-٢٣٣.

(٥) محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية، ص ٣٦٠؛ رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة "قيصر والمسيح"، ج ٢، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٠٨.

دعم الأديرة الأموال التي أحضرها الراغبون في الرهبنة، حيث كان البعض منهم يبيع ممتلكاته قبل انضمامه للحياة الرهبانية، مقدمًا عائدات البيع كنوع من التخلي عن الحياة الدنيوية والتقرب إلى الله. فعلى سبيل المثال، عندما قرر أبولونيوس Apollonius اعتناق الحياة الرهبانية، قام ببيع جميع تجارته، التي جنى منها ثروة طائلة، واستخدم أمواله في شراء بعض المستلزمات الضرورية التي حملها معه إلى رهبان نتريا، حيث استقر هناك وعاش حياة الزهد والتقشف(١). كذلك، شملت الهبات ما كان يقدمه المسيحيون الزائرون للأديرة، الذين كانوا يفدون إليها طلبًا للبركة والشفاء، حيث كانوا يقدمون التبرعات كنوع من التقرب الروحاني والإعراب عن امتنانهم(٢).

يمكن القول إن الأموال والهبات التي كانت تُقدم للأديرة غالبًا ما كانت تُنفق في أعمال الخير وخدمة المجتمع، وليس لمصلحة الرهبان الشخصية، نظراً لاكتفائهم الذاتي في الظروف العادية من خلال الأنشطة المختلفة داخل الدير. فعلى سبيل المثال، عندما زار أحد كبار الشخصيات من القسطنطينية Constantinople دير الأنبا مقاريوس Monastery of Saint Macarius، حاملًا معه مبلغًا من المال، قام بالتجول بين قلالي الرهبان ليقدمه لهم، لكن لم يقبل أي منهم شيئاً منه. وعندما أخبر الأنبا مقاريوس بذلك، توسّل إليه الرجل قائلًا" :لأجل محبة المسيح، اقبل مني هذا القليل من المال"، لكن الأنبا أجابه قائلاً: "نحن بفضل نعمة الله مكتفون، ولسنا بحاجة إلى ذلك، لأن كل أخ بيننا يعمل بأكثر من حاجته". وبدلًا من قبول المال، أمر الأنبا باستخدامه في تعمير أحد المواضع داخل الأديرة، وهو ما تم بالفعل. وبعد مرور فترة، تأثر الرجل بشدة بنمط الحياة الرهبانية، وانضم إلى الدير ليصبح راهباً. تعكس هذه القصة التزام الرهبان بمبدأ الزهد، حيث لم يكن هدفهم جمع المال، بل استثماره في ما يخدم الآخرين ويساعد في تطوير الأديرة لخدمة الرهبنة والمجتمع المحيط بها(٣).

رغم تدفق الهبات والتبرعات على الأديرة، لم تكن كل الهبات مقبولة، خاصة إذا كانت تتعارض مع القوانين الديرية والمبادئ الأخلاقية. فقد حرصت الأديرة على مراعاة مصادر التبرعات والتأكد من توافقها مع تعاليمها. على سبيل المثال، رفض الأنبا شنودة Shenouda the Archimandrite قبول هبة من رجل ارتكب خطيئة جسيمة، مؤكدًا أن الأديرة ليست مكانًا للأخذ، بل للعطاء، مما يعكس التزام الكنيسة بالمبادئ الروحانية والأخلاقية في قبول الهبات(٤).

(١) هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص ٢٦؛ حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، ص ص ١٠٧ – ١٠٩؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص ص ٩٠- ٩١.

(٢) فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، جـ ١، ص ٦١؛ هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص ٥٨؛ أشعياء ميخائيل بباوي، حياة الشركة الباخومية، ص ص ٩١-٩٦.

(٣) هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص ٥٨.

4 Lopez A.G., *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty*, pp. 119-120.

وتشير الوثائق التاريخية إلى أن الأديرة المصرية كانت أكثر ثراءً واستقلالًا مقارنةً بنظيراتها في البلدان المجاورة[١]، وهو ما يُعزى إلى اتساع ممتلكاتها وشهرتها الكبيرة. تُبرز إحدى البرديات[٢] قيام أبولّو مدبر شؤون أحد الأديرة، الذي كان يدير معاملات مالية ضخمة ويمول استثمارات كبيرة، بشراء ستين قطعة زجاج لحمام بمبلغ مليون وثلاثمائة وخمسين ألف دينار، وهو مبلغ ضخم، مما يُشير إلى الثراء الكبير والموارد المالية الضخمة للمؤسسة التي يُمثلها أبولّو. وكذلك دورها الفاعل في دعم المرافق العامة للمواطنين.

ولم يكن هذا الثراء مجرد تكديس للموارد، بل ساهمت هذه الموارد في تحقيق الاكتفاء الذاتي للأديرة، مما مكّنها من مواصلة رسالتها الروحانية والاجتماعية، حيث وفرت الدعم للفقراء والمحتاجين، وساعدت في بناء وترميم الكنائس والأديرة، ما جعلها تلعب دورًا محوريًا في المجتمع، سواء على المستوى الديني أو الاقتصادي.

لم تكن الأديرة تعتمد فقط على التبرعات، بل وفرت الحرف اليدوية مصدرًا ثابتًا للدخل من خلال بيع المنتجات في الأسواق المحلية، مما ساعد في تأمين احتياجات الرهبان ودعم توسع الأديرة وتنفيذ الكثير من الأعمال الأخيرية. لقد مارست الأديرة أنشطة تجارية منتظمة مع العالم الخارجي والبيئة المحيطة بها، حيث سعى الرهبان إلى تصريف منتجاتهم من خلال البيع المباشر في الأسواق أو عبر إبرام اتفاقيات مع التجار لنقل بضائعهم. وأصبح النشاط التجاري جزءًا أساسياً من الهيكل الاقتصادي لهذه الأديرة، مما دفعها إلى تطوير عمليات البيع والشراء، سواء بشكل مباشر في الأسواق أو من خلال التعامل مع التجار القادمين إلى الأديرة. وأسهم هذا النشاط في تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي، حيث أصبحت الأديرة مراكز إنتاج توفر العديد من السلع التي لم تكن متاحة في القرى المجاورة، ما جعلها لاعبًا اقتصاديًا مهمًا في بيئتها المحلية[٣].

لم يقتصر النشاط التجاري للأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي على الأسواق المحلية، بل امتد ليشمل التبادل التجاري مع التجار القادمين من خارج المناطق السكنية والقرى المجاورة، حيث أقبل هؤلاء التجار على شراء المنتجات الفائضة عن حاجة الرهبان، وخاصة في منطقة نيتريا، التي تميزت بإنتاج الحبال والسلال المصنوعة يدويًا التي عُرفت بمتانتها ودقتها، ما يعكس مهارة الرهبان في الحرف اليدوية وقدرتهم على بناء اقتصاد ديري متكامل قائم على الإنتاج والتبادل التجاري، الأمر الذي عزز من دور الأديرة كمراكز اقتصادية مؤثرة قادرة على تنمية مواردها الذاتية وتوسيع نطاق تأثيرها خارج حدودها المحلية[٤].

---

[١] هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني، ص ٢٦؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٧٩-١٨٠.

[2] P. Wisc. 2.66

[3] Peacock D.P.S., *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London, Longman, 1982, p. 45; Bagnall, Roger S., *Egypt in Late Antiquity*, 1993, p. 67;
Wipszycka E., Resources and economic activities, pp. 159-263.
إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، ص ٦٣؛ ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ١١٢.

[4] Peacock D.P.S., *Pottery in the Roman World*, 1982, p. 45; Bagnall, Roger S., *Egypt in Late Antiquity*, 1993, p. 67.

كما أدى انخراط الأديرة في التجارة، سواء عبر البيع المباشر في الأسواق المحلية أو من خلال التبادل مع التجار القادمين من خارج المناطق المجاورة، إلى تنشيط الاقتصاد المحلي والمساهمة في حركة الأسواق. علاوة على ذلك، لم يكن التأثير الاقتصادي للأديرة محصوراً في المعاملات التجارية فحسب، بل امتد إلى نشر ثقافة العمل والاجتهاد بين أفراد المجتمع، حيث أصبح الرهبان نموذجًا يُحتذى به في المثابرة والاكتفاء الذاتي، مما ساعد على تعزيز قيم العمل والانضباط داخل المجتمعات المحلية.

وتوضح الروايات التاريخية أن بعض الرهبان، مثل الراهب إيزدور St. Isidor، الذي ذهب بنفسه إلى السوق لبيع بعض المنتجات بينما اعتمد آخرون على الوسطاء، كما جرى الحال مع الراهب يوحنا القصير St. John the Dwarf الذي عقد اتفاقًا مع أحد سائقي الجمال لنقل الحبال والسلال من صومعته إلى الأسواق. كما توافد التجار إلى بعض المناطق الديرية البارزة مثل جبل نيتريا لشراء المنتجات الفائضة عن حاجة الرهبان، مما يعكس حجم النشاط التجاري للأديرة وأهميته في الاقتصاد المحلي[١]. لقد كانت العلاقات مع السكان المحليين أساسية للعمليات الاقتصادية اليومية للأديرة، ولكنها حملت أيضًا جوانب من التبعية المتبادلة والضغط المحتمل. فهي علاقة متعددة الأوجه تتسم بالتبادل الاقتصادي والاجتماعي والديني[٢]. امتدت شهرة هذه المنتجات الرهبانية، وخاصة الأديرة الباخومية، إلى خارج حدود البلاد، حيث تميزت بجودتها العالية وإتقان صناعتها، مما جعلها تحظى بطلب متزايد في الأسواق المختلفة[٣].

يبدوا من انخراط الأديرة في النشاط التجارى مدى التكيف الذي انتهجته مع البيئة الاقتصادية والاجتماعية المحيطة، حيث لم يكن العمل التجاري مجرد وسيلة لتأمين الاحتياجات، بل كان أيضًا جزءًا من منظومة العمل الرهباني التي تعزز قيم الاجتهاد والاكتفاء الذاتي. وقد انعكست هذه القيم في النصائح التي قدمها الرهبان لبعضهم البعض حول أساليب التعامل في الأسواق، كما ورد في نصيحة الأب بويمن لأحد الرهبان: "تودد إلى الناس، وبع منتجاتك في سلام"، وهو ما يشير إلى إدراك الرهبان لأهمية العلاقات التجارية القائمة على الاحترام والتفاعل السلمي مع المجتمع الخارجي[٤].

فكرة الاكتفاء الذاتي التي اعتمدتها الأديرة، خاصة خلال فترات الأزمات الاقتصادية، كانت نموذجًا ناجحًا للاستدامة المالية. فقد مكنتها من مواصلة تقديم الخدمات الدينية والخيرية، حتى في الأوقات التي تعرضت فيها الدولة

ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ١٤١.

[١] ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٤٠ - ١٤١.

[2] Wipszycka E., Resources and economic activities, pp. 159-263.

[3] Weitzmann K., *Late Antique and Early Christian Book Illumination*. Londres, Chatto and Windus, 1977, p. 56; Gamble H. Y., *Books and Readers in the Early Church*, Yale University Press, New Haven, 1995, p. 45.

ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ١٤١.

[٤] ملاك فكري توفيق يوسف، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة، ص ص ١٤٠ – ١٤١.

لأزمات اقتصادية، مما جعل الكنيسة لاعباً محورياً في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. لقد كوّنت هذه المصادر قاعدة مالية متماسكة، مكّنت الأديرة من التحول إلى مؤسسات للرعاية الشاملة ذات طابع شبه رسمي، تتسم بالاستمرارية والموثوقية[١].

تُقدم بردية P. Naqlun 2.21[٢] إلى جانب بردية P. Naqlun 2.22[٣]، دليلاً قاطعًا على الدور الاقتصادي المحوري للأديرة في مصر البيزنطية. هاتان الوثيقتان، اللتان تمثلان إيصالي دين أو سندي قرض من القرن السادس الميلادي بمنطقة النقلون (الفيوم)، تكشفان أن الأديرة لم تكن مجرد مراكز للعبادة والتأمل، بل كانت أيضًا مؤسسات مالية نشطة تُقدم القروض للأفراد لتلبية احتياجاتهم. يُبرز هذا الدور الاقتصادي الكبير امتلاك الأديرة لفائض من الموارد التي كانت تستثمرها أو تقرضها للأفراد والمجتمعات المحيطة. كما تسلط البرديتان الضوء على العلاقات المالية بين الدير والسكان المحليين، مؤكدتين مدى التوثيق القانوني والرسمي لهذه المعاملات لضمان حقوق الدير الدائن، مما يوفر تفاصيل غنية عن الحياة اليومية والضغوط المالية التي واجهها الأفراد في تلك الفترة.

هذا الأساس الاقتصادي للأديرة لم يكن مجرد خلفية داعمة، بل كان عاملًا جوهريًا مكّن الأديرة من توسيع نطاق خدماتها بشكل نوعي وكمّي. إذ لم تقتصر الرعاية على التبرعات العارضة أو الموسمية، بل تحولت إلى ممارسة منتظمة ومنظمة، تُدار في إطار مؤسسي مستقر. فقد أنشأت بعض الأديرة مرافق دائمة لإيواء المحتاجين، وأقامت منشآت تُعنى بتوفير الرعاية الصحية الأولية، كما نظّمت أعمال الإغاثة والمساعدة بطريقة مؤسسية تضاهي أنظمة الرعاية الحديثة في بعض جوانبها. هذه النقلة في الوظيفة الرهبانية كانت مشروطة تمامًا بوجود موارد مالية تسمح بتوظيف القوى العاملة، وتوفير المؤن، واستقبال المستفيدين بشكل متواصل[٤]. ويمكن القول أن امتلاك الأديرة لمواردها الاقتصادية الخاصة منحها درجة من الاستقلالية عن السلطات المدنية وأحيانًا حتى عن الهيكل الكنسي المركزي في بعض الجوانب. هذه الاستقلالية مكنتها من اتخاذ قرارات سريعة ومرنة للاستجابة للاحتياجات المحلية دون بيروقراطية مفرطة.

وجدير بالذكر أن السياسات البيزنطية أثرت بشكل كبير على الأدوار الاجتماعية للأديرة المصرية، متأرجحة بين الدعم والضغط. ففي أوقات التوافق الديني، خاصة عندما كانت الإمبراطورية تدعم الأديرة وتمنحها الامتيازات والأراضي، ازدهرت الأخيرة وتوسعت في تقديم خدماتها الاجتماعية الشاملة، لتصبح مراكز رعاية صحية وشبكات أمان اجتماعي. بالمقابل، في فترات الخلاف اللاهوتي[٥] والاضطهاد[١]، تحولت الأديرة إلى رموز للمقاومة الدينية

(1) Sadek S., The Daily Life in the Coptic Monasteries, pp. 274-297.
2 P. Naqlun 2.21.
(3) P. Naqlun 2.22.
(4) Wipszycka E., Resources and economic activities, pp. 159-263; Sadek S., The Daily Life in the Coptic Monasteries, pp. 274-297.
(٥) اعتنق المصريون المذهب المونوفيزيتي (مذهب الطبيعة الواحدة)، الذي ترسخت جذوره بقوة لديهم بمرور السنين. هذا الأمر دفع أباطرة القرنين السادس والسابع الميلاديين لاتباع سياسة اضطهاد ضد المصريين، ومحاولة جذب أتباع هذا المذهب

والثقافية وحافظة للهوية المصرية، مما عزز ولاء الشعب لها كحامية لإيمانهم، رغم استمرارها في تقديم الخدمات المادية قدر الإمكان. كما أثرت السياسات الاقتصادية، مثل محاولات فرض الرقابة على تملك الأراضي وفرض الضرائب (كضريبة الرأس)، على قدرة الأديرة على تقديم الدعم المادي، مما دفعها أحيانًا لاستنزاف مواردها. ومع ذلك، مكنتها استقلاليتها الاقتصادية من الصمود، بل وزاد اعتماد العامة عليها كملجأ اقتصادي في أوقات الشدة، مما رسخ مكانتها كركيزة للسلم الاجتماعي والبقاء في ظل حكم مضطرب[٢].

تأثير موقع الدير في خدمة ودعم المحتاجين:

مثّل الموقع الجغرافي للأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي عاملًا أساسيًا في تمكينها من أداء دورها في رعاية المهمشين والضعفاء. فالأديرة التي أُنشئت في المناطق النائية والصحراوية سرعان ما تحولت إلى نقاط جذب وملاذات آمنة للمسافرين، ومراكز لدعم القبائل البدوية أو المجتمعات الزراعية الصغيرة المحيطة بها. في المقابل، قد أُقيم العديد من الأديرة على مقربة من الطرق التجارية والمراكز السكانية أو في قلب المناطق الزراعية، مما جعلها في متناول الفئات المحتاجة من السكان. هذا القرب الجغرافي أتاح للأديرة استقبال الزائرين واللاجئين والمرضى بسهولة، وتحولها تدريجيًا إلى مراكز إغاثة واستقبال ديني واجتماعي. ولم تكن هذه الأديرة مجرد أماكن للعبادة، بل أصبحت محطات دعم حيوية في أوقات الأزمات، تُوفّر الملاذ والغذاء والرعاية، بما يعكس دورها الفعّال كمؤسسات حاضنة للفئات الضعيفة في المجتمع[٣]. أما الأديرة التي نشأت على أطراف القرى، أو تمركزت بمحاذاة ضفاف النيل وفي الواحات الزراعية، فقد اندمجت اندماجًا عضويًا في النسيج الريفي، لتغدو امتدادًا طبيعيًا للبيئة المحلية. هذا التمركز الجغرافي أتاح لها فرص تفاعل يومي مع المجتمعات القريبة، ما خلق علاقات تبادلية مستقرة بين الدير وسكان الريف. فقد استفادت الأديرة من الموارد البيئية المحيطة، مثل المياه العذبة ونبات الكتّان المستخدم في صناعة النسيج، فيما حصلت القرى على منتجات الرهبان وخدماتهم. وشيئًا فشيئًا، تطور هذا التبادل إلى نمط دائم من التعاون، مكّن الأديرة من تقديم دعم ملموس للفئات الضعيفة، من خلال توزيع الغذاء والكساء، وإيواء المحتاجين، والاعتناء بالأيتام، خصوصًا في أوقات الكوارث الطبيعية كفيضانات النيل المتكررة التي كانت تهدد الاستقرار الزراعي والمعيشي في الريف المصري[٤].

إلى كنيسة القسطنطينية التي كانت تتبنى المذهب الأريوسي الذي كان يرفع رأية إزدواجية طبيعة المسيح. لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل. انظر:

Diehl C., *L'Égypte Chrétienne et Byzantine*, dans: Histoire de la nation Égyptienne, ed. Gabriel Hanotaux, Paris, 1933, PP. 38-545.

عزيز سوريال عطية، الكنيسة القبطية، ص ص ١-١٤.

[١] ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص ص ٤٥-٥٢، ص ص ٥٦-٦٧.

[2] Bury J.B., *History of the Later Roman Empire from the death of Theodosius* I to the death of Justinian. New York, Dover Publications, 1958, Vol. I, p. 349; Wipszycka E., Resources and economic activities, pp. 159-263.

[٣] مصطفى محمود محمد محمد محمد، "الوسيط الديني «الرهبان»، ص ص ٧٣-١٥٦.

[٤] هوستوريا موناخورم، بستان الرهبان، ص ٥٦.

وتبعًا لهذا التنوع الجغرافي، فإن فهم البيئة التي نشأت فيها الأديرة يُعد مفتاحًا أساسيًا لتفسير التفاوت في أنماط أدائها الاجتماعي. فكلما اقترب الدير من التجمعات السكانية أو استقر بمحاذاة طرق الحج والتجارة أو المناطق الزراعية الكثيفة، تعاظم حضوره المجتمعي، واتسعت نطاقاته الخدمية لتشمل فئات واسعة من السكان، بخاصة الفقراء والمهمشين. فمثلا تميز نظام شنودة الديرى بالتصاقه بالمجتمع المدنى المحيط به، وتقديم خدمات كثيرة للقرى والمدن. أما الأديرة المنعزلة في الصحراء أو المناطق النائية، فقد حافظت على أدوارها ضمن حدود بيئتها الخاصة، لكنها مع ذلك لم تكن منعزلة تمامًا، بل أدّت وظائف اجتماعية تتناسب مع محيطها[1]. ومن هنا، لم يكن الموقع الجغرافي مجرد عنصر خارجي في حياة الدير، بل كان عاملًا مؤثرًا في تحديد مدى ارتباطه بالمجتمع المحلي، وفي توجيه أنماط تفاعله مع الفئات الضعيفة والمهمشة.

(1) Sadek S., The Daily Life in the Coptic Monasteries, pp. 274-297.
ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص ص ١٠٤-١١٠.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يتضح أن الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي قد اضطلعت بدور محوري تجاوز رسالتها الروحانية التي تأسست عليها، لتصبح مراكز حيوية تقدم دعمًا اجتماعيًا فعالًا في ظل الظروف السياسية والاقتصادية المضطربة التي مرت بها البلاد. فقد شهدت مصر البيزنطية تحولًا ملحوظًا في تطور الرهبنة، بدءًا من حركة فردية تقشفية مع القديس أنطونيوس، مرورًا بنماذج شبه توحدية وصولًا إلى رهبنة الشركة التي أسسها الأنبا باخوميوس، حيث تبلورت الأديرة لتصبح قوة اجتماعية فاعلة تسهم في بناء شبكة أمان اجتماعي. في تلك الفترة، كانت الأديرة بمثابة ملاذ حقيقي للفئات الضعيفة والمهمشة في المجتمع، حيث قدمت لهم المأوى والطعام والرعاية الصحية، بخاصة لأولئك الذين لا يملكون سندًا اجتماعيًا أو عائليًا. إضافة إلى ذلك، كانت توفر خدمات صحية وغذائية أساسية مع أماكن للإقامة المؤقتة، تحت إشراف رهبان مدربين على تقديم العناية الجسدية والروحانية على حد سواء. بهذا الدور، ساعدت الأديرة في تخفيف معاناة الفقراء والمرضى، بخاصة في الأوقات التي شهدت فيها مصر أزمات اقتصادية أو اجتماعية. في ظل ضعف دور الدولة في توفير الأمان الاجتماعي، ظهرت الأديرة كشبكة أمان بديلة تقدم الدعم الروحاني والنفسي للفئات التي تعاني من المحن، كما لعبت دورًا قانونيًا واجتماعيًا من خلال الوساطة وحماية المستضعفين. تظهر الأدلة البردية، سواء من الرسائل الشخصية أو السجلات الإدارية، كيف تكيفت الأديرة مع التغيرات الاجتماعية، وسعت لتلبية احتياجات المجتمع اليومية، والعمل على قضايا العدالة الاجتماعية، مما عزز مكانتها كركيزة أساسية لتماسك المجتمع المصري في مواجهة التحديات. من خلال هذا الدور، استطاعت الأديرة أن تكون قوة اجتماعية منظمة، تجسد القيم المسيحية من محبة وإحسان، وتحولت إلى مراكز دعم اجتماعي لا غنى عنها في تلك الفترة، ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة كما يلي:

- لعبت الأديرة دورًا محوريًا في تحول الرهبنة من مجتمعات روحانية معزولة إلى مؤسسات اجتماعية منظمة بفضل نموذج رهبنة الشركة الذي أسسه الأنبا باخوميوس. هذا التحول منح الأديرة قدرة أكبر على تقديم الخدمات المتنوعة للمجتمع.
- تمكنت الأديرة من أن تصبح ملاذًا رئيسيًا للفئات المهمشة مثل الفقراء، المرضى، الأيتام، الأرامل، والمسافرين. حيث قدمت لهم المأوى، الطعام، الرعاية الصحية والدعم الروحاني.
- سعت الأديرة لتوفير الدعم الروحي والنفسي لضحايا المحن من خلال الصلوات، الإرشاد الروحي، والأجواء الهادئة التي وفرتها. هذا الدعم كان عنصرًا أساسيًا في تعزيز معنويات الأفراد الذين عانوا من الصعوبات الحياتية.
- استخدمت الأديرة الوساطة وحماية الحقوق كأدوات رئيسية في تسوية النزاعات وتقديم الدعم القانوني، بالإضافة إلى تدخلها لدى السلطات المدنية والعسكرية لضمان العدالة وحماية الأفراد.

- كان للأديرة دور فعال في الاستجابة السريعة لأوقات الأزمات مثل المجاعات أو فيضانات النيل، حيث فتحت أبوابها لإيواء المتضررين وتقديم المساعدات الطارئة.
- كشفت الأديرة عن استقلالية كبيرة في العمل الاجتماعي، مما مكنها من تطوير أنشطتها المختلفة دون تدخل مباشر من السلطات. هذا الاستقلال منح الأديرة نفوذًا معنويًا واجتماعيًا كبيرًا.
- تسلط الأديرة الضوء على تطبيق القيم المسيحية من خلال أعمال الإحسان والعمل الخيري، مما ساعد على إعادة تعريف معنى الالتزام الروحاني في المجتمع.
- برزت شخصيات رهبانية بارزة مثل الأنبا شنودة والبطريرك يوحنا الرحوم، حيث لعبت دورًا كبيرًا في التأثير على المجتمع المصري وتنظيم الأنشطة الرهبانية بما يخدم المجتمع.

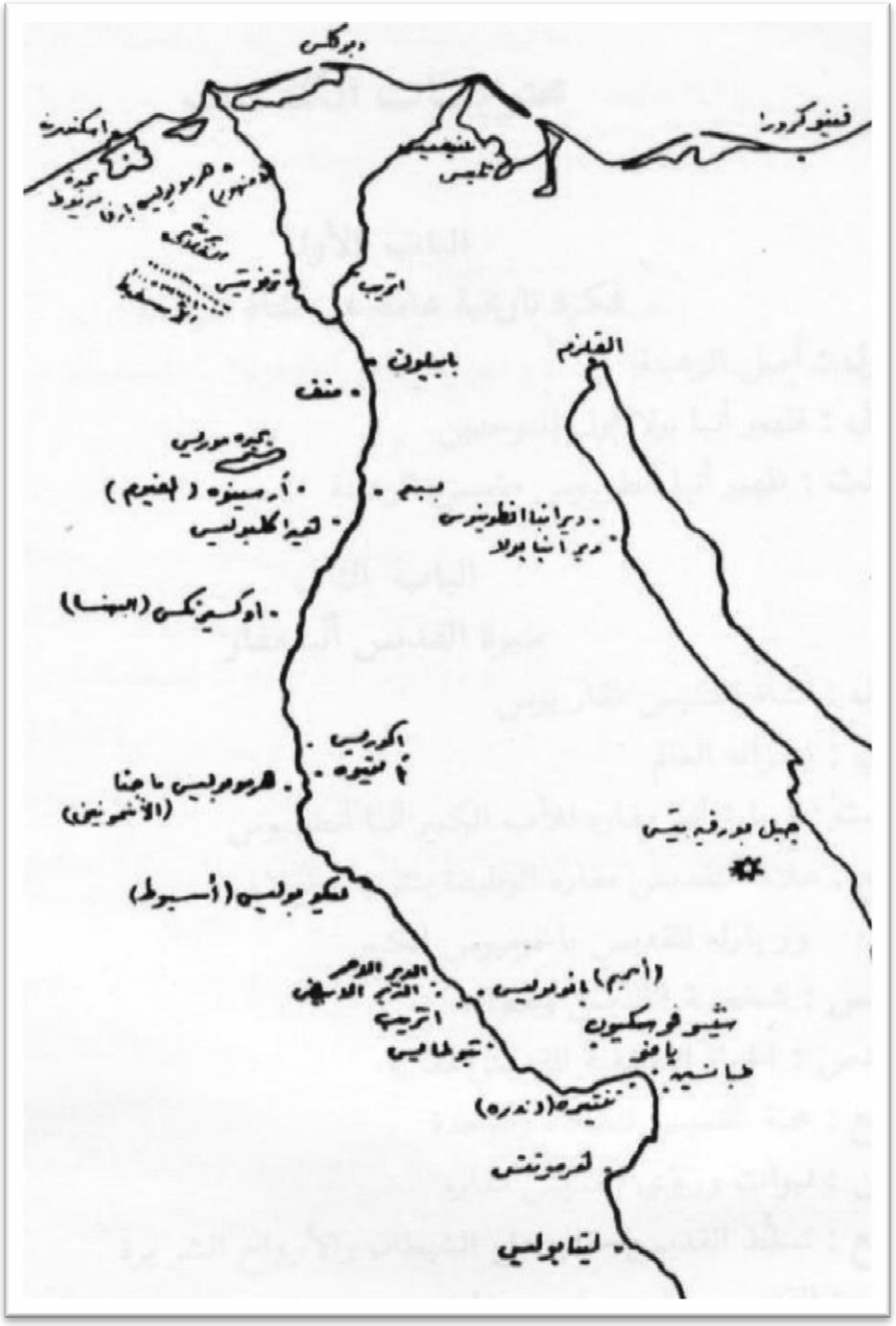

خريطة الأديرة في مصر خلال العصر البيزنطي. نقلاً عن متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص ٢٧.

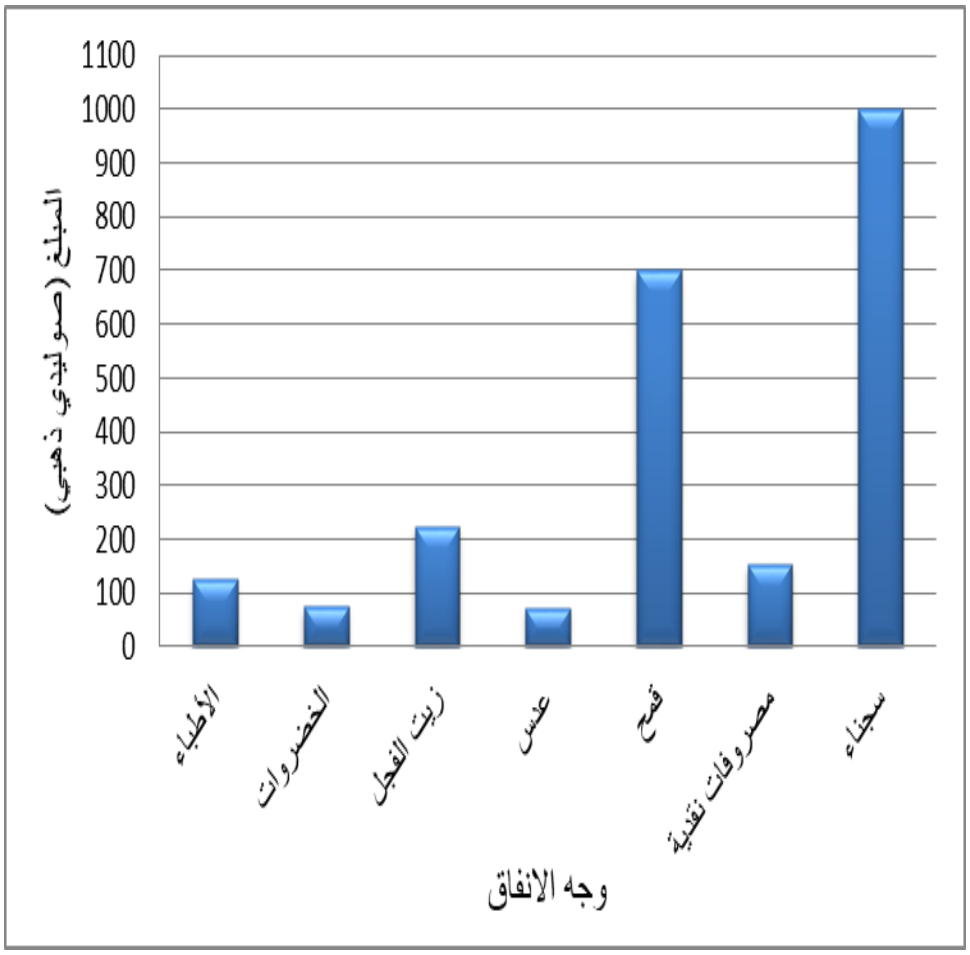

شكل ١: بنود صرف الدير الأبيض (دير الأنبا شنودة بسوهاج) على اللاجئين والمسجونين خلال ثلاثة أشهر

اعتماداً على البيانات الواردة في Lopez A.G., Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty, p.116

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق البردية والنقوش:

- CPR. 25. 17: (Papathomas, A.; 2006). Vienna, Nationalbibliothek G 26151. A Greek papyrus from Egypt, dating to the 6th or 7th century CE (c. 500-699 CE). http://papyri.info/ddbdp/cpr;25;17
- DCLP 62077: P. Oxy. 11. 1384: Glasgow, University MS Gen. 1026/16 (1915). (Also published in: Pap. Graec. Mag.(2) 2 Christliches 7 (1974); Meyer & Smith, Ancient Christian Magic. Coptic Texts of Ritual Power 4 (1994); Annali di Storia dell'Esegesi 24.2 (2007), pp. 437-462). A Greek papyrus from Oxyrhynchos, Egypt, dating to the 5th or 6th century CE (c. 400-599 CE. http://papyri.info/dclp/62077
- DCLP 64466: P. Mich. 18. 768: Ann Arbor, Michigan University, Library P. 5302 (1996). A Greek papyrus amulet from Karanis (Arsinoites), Egypt, dating to the first half of the 4th century CE (c. 300-350 CE). http://papyri.info/dclp/64466
- DCLP 65198: P. Lond. Lit. 232: London, British Library Pap 2037 e-f (1927). (Also published in: Aegyptus 30 (1950), pp. 3-7; Cuming, The Liturgy of St. Mark p. 63 (1990); Hammerstädt, Griechische Anaphorenfragmente (Pap. Colon. 28) 2 (1999)). A Greek parchment from Egypt, dating between 500 and 699 CE. http://papyri.info/dclp/65198
- JJP. 47.56_14: JJP 47 (2017) S. 56 Nr. 14 (2017). Ta Memnoneia (Hermonthites), Egypt. A Coptic ostracon from the Polish excavations 2003-2013 (inv. no. C.O. 034), dated to the first half of the 6th or 8th century CE. http://papyri.info/ddbdp/jjp;47;56_14
- P. Cair. Masp. 1. 67003: (No specific editor/year listed for this entry, as it often refers to the entire Cairo Maspero collection). Cairo, Egyptian Museum JE40747. A Greek papyrus from Antinoopolis, Egypt, dating to approximately 567 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.cair.masp;1;67003
- P. Cair. Masp. 1. 67005: (Maspero, J.; 1911). Cairo, Egyptian Museum JdE 40749. A Greek papyrus from Antinoopolis (found in Aphrodito), Egypt, dating to approximately 568 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.cair.masp;1;67005
- P. Cair. Masp. 2. 67151: (Maspero, J.; 1913). Cairo, Egyptian Museum JdE 40895. (Also published in: Fontes iuris Romani antejustiniani (FIRA) (2nd ed.) 3 66). A Greek papyrus from Antinoopolis (found in Aphrodito), Egypt, dated November 15, 570 CE. This document is a testament (will) and is part of the Dioskoros archive; it is a duplicate of P. Cair. Masp. II 67152. http://papyri.info/ddbdp/p.cair.masp;2;67151dupl
- P. Grenf. 2. 93: (Grenfell, B.P. and Hunt, A.S.; 1897). Oxford, Bodleian Library MS. Gr. class. c. 36 (P). A Greek papyrus from Apollonopolis, Egypt, dating to the 6th or 7th century CE (c. 500-699 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.grenf;2;93
- P. Herm. 17: (Rees, B. R.; 1964). Manchester, John Rylands Library P. Herm. 17. (Also published in: Bagnall, R. S. & Cribiore, R., Women's Letters, p. 204). A Greek papyrus letter from Lykopolis (found in Hermopolites), Egypt, dating to the late 4th century CE (c. 375-399 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.herm;;17
- P. Köln. 3. 157: (Hagedorn, D.; 1980). Cologne, Papyrussammlung P. 5907. A Greek papyrus from Apollonopolis Heptakomias (Kom Isfaht), Egypt, dated July 14, 589 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.koeln;3;157

- P. Lond. 6. 1915: (Bell, H.I. and Crum, W. E.; 1924). London, British Library Pap 2544. (Also published in: Sel. Pap. 1 160; SB Kopt. 3 1668; Tibiletti, Le lettere private 22; Winter, Life and Letters in the Papyri p. 176; Keenan et al. (ed.), Law and Legal Practice in Egypt pp. 464-465 no. 9.3.1). A bilingual (Greek/Coptic) papyrus from Egypt (Herakleopolites or Kynopolites), dating to approximately 330-340 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.lond;6;1915
- P. Lond. 6. 1916: (Bell, H.I. and Crum, W.E.; 1924). London, British Library Pap 2545. (Also published in: Tibiletti, Lettere private 23). A Greek papyrus from Egypt (Herakleopolites or Kynopolites), dating to approximately 330-340 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.lond;6;1916
- P. Lond. 6. 1919: (Bell, H.I. and Crum, W.E.; 1924). London, British Library Pap 2547. A Greek papyrus from Egypt (Herakleopolites or Kynopolites), dating to approximately 330-340 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.lond;6;1919
- P. Lond. 6. 1925: (Bell, H.I. and Crum, W.E.; 1924). London, British Library Pap 2493. A Greek papyrus from Egypt, dating to the mid-4th century CE (c. 325-375 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.lond;6;1925
- P. Lond. 6. 1926: (Bell, H. I. & Crum, W. E.; 1924). London, British Library Pap 2494. (Also published in: Bagnall, R. S. & Cribiore, R., Women's Letters, pp. 205-206; Tibiletti, Lettere private 28). A Greek papyrus from Egypt, dating to the mid-4th century CE (c. 325-375 CE). It is a private letter from Valeria to Paphnutios, discussing topics related to monks and illness. http://papyri.info/ddbdp/p.lond;6;1926
- P. Mon. Epiph. 165: New York, Metropolitan Museum of Art (Egyptian) Accession no. 12.180.226 (1926). A Coptic (Sahidic) papyrus from Thebes, Egypt, dating between 600 and 699 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.mon.epiph;;165
- P. Mon. Epiph. 250: New York, Metropolitan Museum of Art (Egyptian) Accession no. 14.1.486 (1926). A Coptic (Sahidic) papyrus letter from Thebes, Egypt, dating to the first half of the 7th century CE (c. 601-650 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.mon.epiph;;250
- P. Mon. Epiph. 257: New York, Metropolitan Museum of Art (Egyptian) Accession no. 14.1.4 (1926). A Coptic (Sahidic) ostracon from Thebes, Egypt, dating to the first half of the 7th century CE (c. 601-650 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.mon.epiph;;257
- P. Mon. Epiph. 282: New York, Metropolitan Museum of Art (Egyptian) Accession no. 14.1.159 (1926). An ostracon written in Coptic (Sahidic) from Thebes, Egypt, dating to the first half of the 7th century CE (circa 601-650 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.mon.epiph;;282
- P. Naqlun 2. 21: (Derda, T.; 2008). P. Naqlun inv. 96/90. A Greek papyrus from Naqlun or Alexandrou Nesos (Arsinoites), Egypt, possibly dated October 17, 585 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.naqlun;2;21
- P. Naqlun 2. 22: (Derda, T.; 2008). P. Naqlun inv. 99/90. A Greek papyrus from Eleusina or Naqlun (Arsinoites), Egypt, dated August 8, 623 CE (though the year might be 593 CE, as per some entries). http://papyri.info/ddbdp/p.naqlun;2;22
- P. Oxy. 9. 1206: (London, British Library Papyrus 2073) is a Greek papyrus from Oxyrhynchus, Egypt, dated March 27 - April 25, 335 CE. It was originally published by Arthur S. Hunt in The Oxyrhynchus Papyri, Volume IX (1912), and has also been published in Select Papyri I 10, Fontes iuris Romani antejustiniani (FIRA) III 16, and Juristische Papyri 10. http://papyri.info/ddbdp/p.oxy;9;1206
- P. Oxy. 16. 1848: (Grenfell, B. P., Hunt, A. S., & Bell, H. I.; 1924). Cairo, Egyptian Museum CG 10025. This Greek papyrus from Oxyrhynchos, Egypt, dates to the 6th or 7th century CE (c. 500-699 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.oxy;16;1848

- P. Oxy. 16. 1895: (Oxford, Sackler Library, Papyrology Rooms P. Oxy. 1895) is a Greek papyrus from Oxyrhynchus, Egypt, dated 554 CE. It was originally published by Bernard P. Grenfell, Arthur S. Hunt, and Harold Idris Bell in The Oxyrhynchus Papyri, Volume XVI (1924), and has also been published in Select Papyri I 11. Translations of this document are available in Winter's Life and Letters (1933) and Rowlandson's Women and Society (1998). http://papyri.info/ddbdp/p.oxy;16;1895
- P. Oxy. 16. 1910: (Grenfell, B.P., Hunt, A.S., and Bell, H.I.; 1924). Oxford, Sackler Library, Papyrology Rooms P. Oxy. 1910. A Greek papyrus from Oxyrhynchos, Egypt, dating from the late 6th to 7th centuries CE (c. 575-699 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.oxy;16;1910
- P. Oxy. 27. 2478: (Rea, J.R.R.; 1962). London, British Library Pap 3061. A Greek papyrus from Oxyrhynchos, Egypt, dated November 27, 595 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.oxy;27;2478
- P. Oxy. 27. 2480: (Fernández Pomar, J. M.; 1962). London, British Library Pap 3063. A Greek papyrus from Oxyrhynchos, Egypt, dated 565-566 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.oxy;27;2480
- P. Oxy. 67. 4620: (Thomas, J.D.; 2001). Oxford, Sackler Library, Papyrology Rooms P. Oxy. 4620. A Greek papyrus from Oxyrhynchites, Egypt, dating between the 5th and 6th centuries CE (c. 475-550 CE). http://papyri.info/ddbdp/p.oxy;67;4620
- P. Wisc. 2. 64: (Sijpesteijn, P. J.; 1977). Madison, Wisconsin State University 77. A Greek papyrus from Oxyrhynchos, Egypt, dated January 27, 480 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.wisc;2;64
- P. Wisc. 2. 66: (Sijpesteijn, P.J.; 1977). Madison, Wisconsin State University 80. A Greek papyrus from Oxyrhynchos, Egypt, dated July 15, 584 CE. http://papyri.info/ddbdp/p.wisc;2;66
- P.S.I. 4. 284: (Vitelli, G.; 1917). Florence, Biblioteca Medicea Laurenziana 10637 (PSI 284). A Greek papyrus from Aphrodites Kome (Antaiopolites), Egypt, dating to the 6th century CE (c. 501-600 CE), specifically between July 25 and August 23 of an Indiction year 7. http://papyri.info/ddbdp/psi;4;284
- SB Kopt. 4 1692: Athens, Benaki Museum K 2 (2012). (Also published in: ZPE 127 (1999), pp. 117-122). A Coptic (Sahidic) papyrus from Hermopolites, Egypt, dating to the 7th century CE (c. 600-699 CE). http://papyri.info/ddbdp/sb.kopt;4;1692
- SB. 20. 14241: (Rupprecht, H.A. and Hengstl, J.; 1997). Cairo, Egyptian Museum SR 3733 / 17 a, SR 3722 / 19, and SR 3895 / 14. (Also published as: SB 16 12815; and in Pap. Congr. XVII (Naples 1983) pp. 836 & 838). A Greek papyrus from Aphrodites Kome (Antaiopolites), Egypt, tentatively dated to around 566-567 CE. http://papyri.info/ddbdp/sb;20;14241

- Stud. Pal. 3(2).5.506: S.P.P. 3 (2) 5. 506: (Kreuzsaler, C.; 2007). London, British Library Pap 727. (Also published as: P. Grenf. 2 104; Stud. Pal. 3 506; P. Lond. 3 p. XXIX no. 727 descr.). A Greek papyrus from Makronos (Arsinoites), Egypt, dating to the 8th century CE (c. 701-800 CE). http://papyri.info/ddbdp/stud.pal;3(2).5;506

- **ثانياً: المصادر الأجنبية:**

- Krüger P., *Codex. Justinianus*, Corpus Juris Civilis, 2, 10th ed., Berlin, 1929.
- Pharr C., *The Theodosian Code and Novels, and the Sirmondian Constitutions*. Princeton, Princeton University Press. 1952.

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة:

- الكتاب المقدس.
- جوستنيان، مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى، ترجمة عبد العزيز فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، الكتاب الأول، الباب الخامس، الفصل الأول.
- فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـ ١، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع) أي قصص وتوجيهات آباء البراري القديسين محققة من مصادرها الأصلية، إعداد رهبان بيرية شيهيت، جـ ٢، جـ ٣، ط ١، ٢٠٠٧م.
- هستوريا موناخورم أي التاريخ الرهباني لمصر وصف الرحلة التي قام بها سبعة رهبان من فلسطين لبراري مصر في القرن (٤م)، ترجمة: بولا البراموسى طبعة خاصة للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، الناشر: مشروع الكنوز القبطية، ٢٠٠٨م.
- يوحنا كاسيان، الأنظمة: أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية الرئيسة، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس، مراجعة: عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م.
- بنتلي اليتون، قوانين آبائنا، القواعد الرهبانيّة للأنبا شنوده رئيس المتوحِّدين، ترجمة موريس وهيب وبيشوي جرجس، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للأقباط الأرثوذكس بالأنبا رويس، ط١، القاهرة، ٢٠٢١م.
- بلاديوس التاريخ اللاوسي، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: بولا ساويرس مراجعة عماد موريس إسكندر، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة، ٢٠١٥م.
- الانبا شنودة رئيس المتوحدين، الجزء الاول، سيرته عظاته قوانينه سلسلة النصوص المسيحية في العصور الاولى، ترجمة وتقديم: صموئيل قزمان معوض، مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى، القاهرة، ٢٠٠٩م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Amelineau (ed), *Vie de Schnoudi* (Traduite de l'Arabe). In Memoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire (1885 - 1886). T.4 Paris (1888).
- Bagnall, R. S., *Egypt in Late Antiquity*, Princeton University Press, 1993.
- Besa, *The Life of Shenoute*, Introd., Trans. and Not. by David N. Bell, Kalamazoo. Michigan, Cistercian Publications, 1983.
- Belanger-Sarrazin, Sophie. "Medicine, Magic, Miracle: Monks and Visitors: Epigraphy and the Construction of Spiritual Space at the Monastery of Apa Apollo." Paper presented at the *REMUS Seminar: Religion, Materiality, and Urbanity in Egypt and the Near East*, 2023.
- Bolman, Elizabeth S., *The Red Monastery Church: Beauty and Asceticism in Upper Egypt*. New Haven: Yale University Press, 2016.
- Bury J.B., *History of the Later Roman Empire from the death of Theodosius* I to the death of Justinian. New York, Dover Publications, 1958.
- Clement of Alexandria. *Paedagogus* (The Instructor). The Ante-Nicene Fathers (Grand Rapids, Mich.: Erdmann's), vol. II, 1951.
- Constantelos, Demetrios J., *Byzantine Philanthropy and Social Welfare*, New Brunswick, New Jersey, Rutgers University Press, 1968.
- Darlene L.B.H., "Monks Baking Bread and Salting Fish An Archaeology of Early Monastic Ascetic Taste", in: *Knowing Bodies, Passionate Souls Sense Perception in Byzantium*, ed., Harvey S.A., Mullett M., Washington, DC: Dumbarton Oaks, 2017, pp. 183-206.
- de Bruyn T., "Occasional Prayers Written by Monks and Visitors at the Monastery of Apa Apollo." In *Studia Patristica*, Vol. CVIII: Papers presented at the Eighteenth International Conference on Patristic Studies held in Oxford 2019, edited by Markus Vinzent and Claudia Rapp, 103–114. Leuven–Paris–Bristol, CT: Peeters, 2021.
- Diehl C., *L'Égypte Chrétienne et Byzantine*, dans: Histoire de la nation Égyptienne, ed. Gabriel Hanotaux, Paris, 1933.
- Dunn, M., *The Emergence of Monasticism: From the Desert Fathers to the Early Middle Ages*. Oxford, Wiley-Blackwell, 2rd Edition, 2003.
- Emmel S., "Care for the Sick in Shenoute's Monasteries", in: *Christianity and Monasticism in Upper Egypt*, vol. 1: Akhmim and Sohag, eds. Gawdat Gabra and Hany N. Takla, The American University in Cairo Press, 2007, pp. 21-30.
- Gamble H. Y., *Books and Readers in the Early Church*, Yale University Press, New Haven, 1995.
- Gardiner A., *Egyptian Grammar*. Oxford, Oxford University Press, 1957.
- González J., *Story of Christianity, Volume 1: The Early Church to the Reformation.* HarperOne, 2010.
- Goswami A., "Hermit to Cenobitic: A Study of Early Christian Monasticism", *Proceedings of the Indian History Congress* 66, 2006, pp. 1329-1335.
- Hardy E.R., *The Large Estate of Byzantine Egypt*, New York: Columbia University Press, 1931.
- Harmless W., *Desert Christians. An Introduction to the Literature of Early Monasticism*, Oxford, Oxford University Press, 2004.

- Lopez A.G., *Shenoute of Atripe and the Uses of Poverty: Rural Patronage, Religious Conflict, and Monasticism in Late Antique Egypt.* Transformation of the Classical Heritage Volume 50. Berkeley, University of California Press, 2013.
- Kondos M.E.S., "Monasteries of Wadi al-Natrun as a destination of the Holy Family Journey". *Journal of Arts and Humanities*, 2017, 84(4), pp. 752-779.
- Mayer W., *The Homilies of St. John Chrysostom: Provenance: Reshaping the Foundations*. Pontificio Istituto Orientale, Rome, 2005.
- Meinardus Otto F.A., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*. Cairo, American University in Cairo Press, 1999.
- Peacock D.P.S., *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London, Longman, 1982.
- Roullard G., *Administration Civile D' Egypte Byzantine*. paris, 1928.
- Rousseau P., *Pachomius: The Making of a Community in Fourth-Century Egypt*. University of California Press, Berkeley, 1999.
- Sadek S., "The Daily Life in the Coptic Monasteries: An Analytical Study". *Coptic Gnostic Studies Unit Annual Academic Journal*, 15, 1, 2012, pp. 274-297.
- Wipszycka E., "Resources and economic activities of the Egyptian monastic communities (4th–8th century)", *The Journal of Juristic Papyrology*, vol. xli, 2011.
- Weitzmann K., *Late Antique and Early Christian Book Illumination*. Londres, Chatto and Windus, 1977.
- Yassin K., Soliman N., Zekry N., "Monastic Hospitals in Byzantine Egypt: Pachomius and Shenoute's Hospitals as Coenobitic models". *Journal of Tourism, Hotels and Heritage*, 1(1), 2020, pp. 55-69.

خامساً: المراجع العربية:

- **أسامة فايز استقلال أحمد**، الطب وطرق التداوي في مصر البيزنطية ٢٨٤ – ٦٤٢م، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس، ٢٠١٥م.
- **أشعياء ميخائيل بباوي**، حياة الشركة الباخومية، ثلاثة أجزاء، دير القديس باخوميوس، القاهرة، ١٩٨٥.
- **الأنبا يؤانس**، المجامع الكنسية، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، ١٩٩٤.
- **ايريس حبيب المصرى**، قصة الكنيسة القبطية، ج١، مكتبة كنيسة مارجرجس بأسبورتنج بالاسكندرية، ٢٠٠٣م.
- **إيفيلين هوايت**، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. تعريب بولا البراموسى، أبناء الأنبا موسى الأسود، ج ٢، ط ١، ١٩٨٩م.
- **تادرس يعقوب ملطي**، الخط الاجتماعي عند آباء الكنيسة الأولى، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج، ٢٠٠٥م.
- **ثاؤفيلس الشنودي**، الدير الأبيض (سيرته، رؤساء الدير ورهبانه عبر العصور، تاريخ الدير الأبيض)، مراجعة الأنبا متاؤس، مطابع النوبار، العبور، ٢٠٢٠م.
- **جون لوريمر**، تاريخ الكنيسة، ترجمة فهيم عزيز، ج ٢، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٥م.

- **حكيم أمين**، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية – مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي، القاهرة، ١٩٦٣م.
- **خيري أبو العزايم فرجاني**، الدور الوطني الكنيسة المصرية – صفحات مضيئة على مر العصور، مكتبة مصر الجديدة ٢٠١٧م.
- **رأفت عبد الحميد**، الدولة والكنيسة "قيصر والمسيح"، ج ٢، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.
- .....، الفكر المصري في العصر المسيحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- **رأفت عبد الحميد، طارق منصور**، مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤- ٦٤١م، دار مصر العربية، ط ٣، ٢٠٠٣م.
- **رؤوف حبيب**، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية، ٢٠٠٠م.
- **زبيدة محمد عطا الله**، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م.
- .....، قبطي في عصر مسيحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- **سمير وديد جرجس**، هجمات البربر على الأديرة " دير وادي النطرون "، القاهرة، ٢٠٠٢م .
- **سهير محمد مليجي**، "ظاهرة معجزات القديسين الشفائية في مصر في العصر البيزنطى ٢٨٤-٦٤٢م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ع ١٤، ج١، ٢٠٢٣م، ص ص ١٣٣-١٨٠.
- **السيد الباز العريني**، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
- .....، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
- **عزيز سو**ريال **عطية**، "الكنيسة القبطية والروح القومى في مصر فى العصر البيزنطى"، المجلة التاريخية المصرية، ١٩٥٠م، مج ٣، ع ٣، ص ص ١-١٤.
- **عبد العزيز رمضان**، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الاسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، مج ٥، ٢٠٠٧م، ص ص ٣٣- ٩٧.
- **ليلى عبد الجواد إسماعيل**، "القديس شنودة الاخميني الأدريبي ودوره في تاريخ مصر في العصر البيزنطي (٣٣٣ – ٤٥١م)"، نشرة مركز الدراسات البردية، المجلد ٢٠، ع ١، ٢٠٠٣م.
- .....، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٧م.
- **متى المسكين**، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط ٣، ١٩٩٥م.

- **محمد عبد الشافي محمد محمود المغربي**، "رعاية المسنين في الدولة البيزنطية"، مجلة كلية الآثار، مج ٦، ٢٠١١م، ص ص ١٩٠-٢٣١.
- .....، "المواطنة والخلاص المسيحي في مصر البيزنطية"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، مج ٦، ع ١١، ٢٠٢١م، ص ص ١١٧-١٤٧.
- **محمد عبد النعيم محمد عبده**، محاضرات في تاريخ مصر وحضارتها فى الحقبة البيزنطية – القبطية (٢٨٤ – ٦٤١م)، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- **محمد عثمان عبد الجليل**، "الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي"، مجلة كلية الآداب بقنا، مصر، مج ٩، ع ١٠، ١٩٩٧م، ص ص ٣٤٦ – ٣٧٩.
- **مراد كامل**، حضارة مصر في العصر القبطي، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، د.ت.
- **مصطفى محمد مسعد**، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م.
- **مصطفى محمود محمد محمد محمد**، "الوسيط الديني «الرهبان» بين حاجة المجتمع وتطلعات السلطة الإمبراطورية خلال العصر البيزنطي الباكر"، حولية سمنار التاريخ الاسلامى والوسيط، مج ٩، ع ٩، ص ص ٧٣-١٥٦.
- **ملاك إبراهيم يوسف**، دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي، معهد الدراسات القبطية بالقاهرة، ٢٠٠٠م.
- **ملاك فكري توفيق يوسف**، النشاط الاقتصادي للكنائس والأديرة في مصر في العصر الروماني المتأخر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بنها، ٢٠١٢م.
- **منير شكري**، الرهبنة القبطية وآبائها، ضمن قراءات في تاريخ الكنيسة، رسالة مارمينا الرابعة عشرة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- **نبيه كامل داود، وسامح شفيق، وعادل فخري**، تاريخ المسيحية والرهبنة في ابروشيتي سوهاج وأخميم، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، ط١، ٢٠٠٦م.
- **نعيمة محمد إبراهيم**، "صفحات من تاريخ الضيافة والإحسان في الأديرة المصرية في العصر البيزنطي ودورها في التنمية السياحية"، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، جامعة الفيوم، مج ١٦، ع. ٣، ٢٠٢٢م، ص ص ٢٠١ – ٢٣٣.
- **هاني مهدي راتب زحير**، "الرعاية الصحية في المؤسسات الرهبانية الشرقية وآثارها الاجتماعية في القرن الرابع الميلادي"، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، ع١٠، ٢٠٢٢م، ص ص ١١-٩٤.
- **هويدا سيد علي محمد**، "مظاهر العنف في مصر البيزنطية ٢٨٤-٦٤١م"، المجلة العلمية لكلية الآداب، ع ٨١، ٢٠٢٢م، ص ص ٥٨٥-٦٣٦.

- هويدا محمد احمد، "الفلاح المصري في العصر البيزنطي (٢٨٤-٦٤١م)"، مجلة كلية اللغة العربية بإتاى البارود، مج ٣٤، ع ٣، ٢٠٢١م، ص ص ٣٠٣٥-٣٠٧٨.
- **ولاء مختار عبدالعزيز**، رهبنة العذارى في مصر: نسك ورهبنة العذارى في مصر حتى القرن السابع الميلادي، مراجعة صموئيل قزمان معوض، مدرسة الإسكندرية، ط١، ٢٠٢٢م.
- **ياسر مصطفى عبد الوهاب**، الغزو الفارسي لمصر(٦١٦-٦٢٨م)، ج ٥، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.